وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: ط1: 35102963

النزعة الإصلاحية في أدب البشير الإبراهيمي من خلال آثاره - الجزء الأول أنموذجا -

مذكرة لنيل شهادة الماستر LMD في تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالب:

– إسماعيل بوراس.

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	عبد اللطيف حجاب	أستاذ محاضر – أ –	جامعة المسيلة	رئيسا
2	بشير زغبة	أستاذ مساعد – أ –	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3	عبد العزيز ناصر	أستاذ محاضر – ب –	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1444/1443هـ. 2023/2022م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): بوراس إسماعيل الصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 388 والصادرة بتاريخ: 2018/2/19 بدائرة أولاد دراج

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:

.....

.....

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في

...../...../.....

إمضاء المعني

15 SEP. 2023

ملاحظة: أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيل

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . . .﴾ الآية رقم: (07) سورة إبراهيم

لقد زفت دموع الأقلام إلى أوراق تخط عليها أجمل العبارات، ولإن كتبنا شعرا طول العمر ينتهي العمر ولا تنتهي الأبيات، فهل بإمكان الأقلام أن تعبر عن الشكر و العرفان ، وهل تكفي الأوراق لكل الكلمات ، فما علينا سوى اختصارها في هذه العبارات :

فكل الشكر

إلى أستاذي المشرف **(د . بشير رغبة)** منبع المعرفة و السراج

الذي أنار دربي فكل الشكر والاحترام له

وإلى كل الأساتذة الذين سقونا من بحر المعرفة حتى وصلنا إلى أعلى الدرجات

كما أتقدم بالشكر إلى اللجنة المناقشة وإلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة

مقدمة

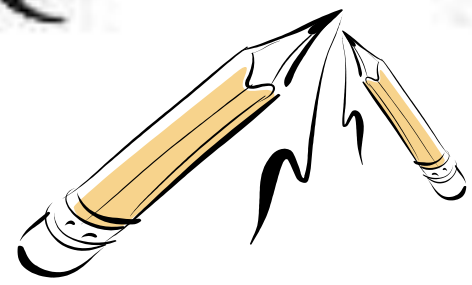

مقدمة:

في فطرة الإنسان قوة يعقل بها طريق الصلاح والفساد ويفقه بها الحق والباطل. ولكن هذه القوة العاقلة لا تستقل وحدها بتمييز المعروف من المنكر، وليس من شأنها أن تطلع على كل حقيقة، ولا أن تدبر أعمال البشر على نظام لا عوج فيه، فإنها قد تنبئ عن الحق، ويغرب عنها وجه المصلحة، ولا تهتدي إلى عاقبة العمل، وربما ألقت على الحسنة نظرة عجلى فتحسبها سيئة، وقد يتراءى لها الشر في شبه من الخير فتتلقاه بالقبول.

وقد تصدى رجال أصحاب هذه القوى العاقلة لوطأة الاحتلال الفرنسي وتناول البحث بالدراسة أحد الأدباء، وقائد الحركة الإصلاحية في الجزائر خلال القرن العشرين وهو محمد البشير الإبراهيمي، فقد حاولنا دراسة أدبه في شكله النثري الذي سخره لمعالجة مختلف القضايا المتعلقة بالمجتمع الجزائري والحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية، كما اتخذه أداة لمواجهة الاستعمار ووسيلة لنشر الوعي وايقاظ الضمائر.

ولعل من **سبب اختيارنا** للبحث في هذا الموضوع دون غيره هو قلة العناية بأدب الإبراهيمي والبحث فيه، فحسب الدراسات قد ترك آثارا جديرة بالدراسة نظرا لقيمتها البالغة في خدمة الأدب والمجتمع الجزائري.

أما **المنهج** الذي اتبعناه هو المنهج التاريخي وقد استفدنا من معطياته التي تم بواسطته تتبع واستقصاء مراحل حياته وتطورات إصلاحاته كما استفدنا من معطيات المنهج الوصفي التحليلي في توصيف وتحليل خطبته الموسومة بـ: "الاصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي".

وقد اعتمدنا على **مصادر ومراجع** عديدة توزعت بين كتب الأدب والتاريخ نذكر أهمها: آثار محمد البشير الإبراهيمي" ، والمكونة من خمسة أجزاء، جمعها و حققها أحمد طالب الإبراهيمي، والبشير الإبراهيمي أديبا" لمحمد عباس ومختلف المراجع المتعددة والجرائد والمجلات.

ولتحقيق **الهدف** الذي توخيناه من هذا البحث اعتمدنا على تشكيل وهندسة **خطة** مكونة من مقدمة ومدخل وفصلين: فصل نظري وفصل تطبيقي و خاتمة.

في المقدمة حددن موضوعنا والمنهج الذي سلكناه في بحثنا، وفي **المدخل** تحدثنا عن محمد البشير الابراهيمي تضمن نبذة من حياة محمد البشير الإبراهيمي، اسمه، نسبه مولده حياته الدراسية والعلمية، شخصيته ومكانته العلمية، وفاته وآثاره.

بينما تناولنا في **الفصل الأول** تأسيس جمعية العلماء المسلمين، ومجالاتها، وتناولنا كذلك النزوع الاصلاحي لمحمد البشير الإبراهيمي في نثره فحصرنا اهتمامنا على فني الخطابة والمقالة.

في حين خصصنا **الفصل الثاني** لأهم القضايا الإصلاحية في خطبة الاصلاح الديني الذي لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي، وقمنا بدراستها وتحليلها ومناقشتها و قد اعتمدنا في دراستنا التطبيقية على دراسة الخطبة دراسة فنية ثم تحدثنا عن أسلوبه في الخطبة واللغة والتصوير.

وأنهينا بحثنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها بعد دراسة أدب الإبراهيمي.

وعلى الرغم من **الصعوبات** التي واجهتنا خلال بحثنا هذا والمتمثلة في نقص المصادر والمراجع والجرائد والمجلات المتضمنة لإصلاحات الإبراهيمي في جامعتنا.

هذا وفي الأخير ما علنا أن نقول، وبتوفيق من الله أتممنا هذا العمل المتواضع الذي ما هو إلا حصيلة جهد مبذول، نرجو أن نكون قد أصبنا في بحثنا هذا ونسأل الله عز وجل أن يوفقنا لحسن القصد.

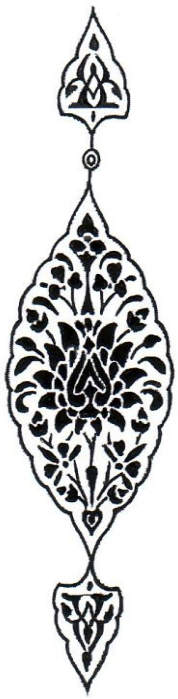

مدخل

- نبذة عن حياة محمد البشير الإبراهيمي

1- اسمه، نسبه ومولده

هو محمد السعدي بن عمر محمد السعدي بن عبد الله عمر الإبراهيمي وقال مترجما لسيرته أنا محمد البشير الإبراهيمي ولدت يوم الخميس عند طلوع الشمس في الثالث عشر من شهر شوال سنة ستة و ثلاثمائة وألف، ويوافق الرابع عشر من يونيو سنة 1889م .... قبيلتنا تعرف بأولاد إبراهم بن يحي بن مساهل و ترفع نسبها إلى إدريس بن عبد الله[1] .... قال على هذا النسب: وهذا مستفيض بين سكان الأطلس أوراس، وسفوحه الجنوبية إلى التلال ولأجدادنا كتابات متناقلة عن هذا النسب.[2]

- مولده:

ولد في قبيلة ريغة الشهيرة ب "أولاد ابراهم" وهي إحدى قبائل سبع متجاورة في سفوح الأطلس الأكبر الشمالية المتصلة بقمم جبال الأوراس، وكل ذلك واقع في مقاطعة قسنطينة من القطر الجزائري، وتجتمع قبيلته مع هذه القبائل في يحي بن مساهل" ذي النسب الشريف المتواتر بالسماع الفاشي، والثابت عند أئمة النسابين أمثال الإمام عبد الرحمان الصباغ البجاوي صاحب كتاب الفحول المهمة "، ويقع في نسبه خمسة من العلماء الأجلاء، عاشوا ما بين المائة التاسعة والمائة الثالثة عشر للهجرة، وكلّهم كتبوا على هذا النّسب وأثبته بالأدلة التاريخية الممكنة، وآخرهم الجد الأدنى الشيخ عمر الإبراهيمي وله فيه كتاب، وهذا النسب الشرقي الذي ورث عدم الاهتمام به من عمه الذي رباه وعلمه، ومما لا شك فيه أن نسبه عربي صميم.[3]

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي: (أنا) مجلة مجمع اللغة العربية الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ج21، 24. (1386-1966)

[2] المصدر نفسه، ص 135.

[3] أبو القاسم سعد الله: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في قلب المعركة (1954-1964) شركة الأئمة للطباعة والترجمة والنشر الجزائر (د. ط)1994م ص 89.

2- حياته الدراسية والعلمية:

دراسته: نشأ في بيت علمي من البيوت العلمية الريفية في طريقة عيشها، وهي التي تقوم دائما على البساطة والطهارة في السلوك التمسك بالأخلاق الفاضلة والصحة البدنية الجيدة، كل ذلك لبعد أريافه في ذلك العهد عن الحضارة الجليبة ومواقعها من المدن، فلما بلغ التاسعة من عمره أصيبت رجله اليسرى بمرض، وكان للإهمال والبعد عن التطبيب المنظم أثر كبير في إصابته بعاهة العرج في رجله، وقد أنساه ألمها والحزن عليها ما كان منكبًا عليه من التهام كتب كاملة بالحفظ، فكان له بذلك أعظم سلوى على تلك العاهة، وفيما عدا تلك العاهة فهو مدين لتربيته الريفية في كل ما تمتع به إلى الآن من قوى بدنية وفكرية وخلقية.

قام على تربيته وتعليمه من يوم درج عمه الأصغر الشيخ ، محمد المكي الإبراهيمي عالم إقليمه المعروف بوطن " ريغة " وفريد عصره في إتقان علوم اللسان العربي، وكانت الأسر العلمية بوطنه قائمة على تقليد قديم متوارث وهو أنها تقوم بوظيفة المدرسة المعروفة، فيأوي إليها طلاب العلم من كل حدب وصوب، وتتكفل الأسرة بإطعام الغرباء منهم مهما كان عندهم احتسابا ويقوم علماء الأسرة بتعليمهم دروسا منظمة على مدار ساعات اليوم، لكتب أغلبها مما يدرس في الأزهر في عهود مضت فيما هو معروف، ومن نوابغها المعروفين الذين ما زالت أسماؤهم على كل لسان: الشيخ محمد الشريف العمري الإبراهيمي والشيخ المبارك الإبراهيمي، والشيخ القريشي الإبراهيمي، وكل هؤلاء وغيرهم عاشوا في القرون الثلاث الأخيرة.[1]

- رحلاته:

*** رحلته إلى مصر 1911:**

في عام 1911 شد الرحال مارا بتونس و ليبيا ثم مصر التي أقام بها ثلاثة أشهر، فكان يختلف عن مجالس العلماء والأدباء، يشهد له بذلك بعض علمائها في العلوم الشرعية واللغوية، ثم غادر القاهرة باتجاه المدينة التي وصلها أواخر 1911.[2]

---

[1] أبو القاسم سعد الله: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في قلب المعركة، ص89.

[2] محمد البشير الإبراهيمي: (أنا) مجلة الثقافة المؤسسة الوطنية للفنون وحدة الطبع المتعددة، ورشة أحمد زبانة، الجزائر، ع87(1985م) ص 15.

*** رحلته إلى الحجاز 1911-1916**

أثناء إقامته بالحجاز لم ينقطع عن حلقات العلم والمعرفة التي كانت تقام على يد الشيوخ الأفاضل هناك فضلا عن جهده المستمر في زيارة المكتبات العامة والخاصة باحثا ودارسا في هذه الفترة وقبل مغادرته الحجاز كان الأستاذ الرئيس عبد الحميد بن باديس قد سافر إلى البقاع المقدسة لتأدية فريضة الحج عام 1913 فكان اللقاء التاريخي بينهما، ليتم وضع الأسس الأولى لجمعية العلماء.

*** رحلته إلى بلاد الشام (1916-1920):**

قامت ثورة شريف حسين بن علي، في أواخر عام 1916، فشدّ الإبراهيمي الرحال مع أسرته إلى دمشق، أين اختلف إلى علماء سوريا الذين بلغت شهرتهم مسمعه منهم: الشيخ عبد الرزاق البيطار و جمال الدين القاسمي وهنا يقول الإبراهيمي: "خرجت من المدينة فيمن خرج إلى دمشق في أخريات ستة عشر ميلادية (1916م) وكنت أتمنى لو ان دواعي الخروج كانت تقدمت ببعض السنوات، لأدرك الإمامين اللذين كانت لهما في نفسي مكانة، وهما عبد الرزاق البيطار، وجمال الدين القاسمي، وكنت... وأنا في المدينة قرأت للعاصمي عدة كتب عرفت منها قيمته ومنزلته. وقرأت عن البيطار، وسمعت ما دلني وأدناني منه.[1]

شغل الشيخ منصب تدريس الأساتذة الكبار من بينهم جميل صليبا و أديب الرماني والمحايري، عدنان الأقاسي، يقول الإبراهيمي: ويخرج على يدي في ظرف سنة واحدة جماعة من الصفوف الأولى، هم اليوم في طليعة الصفوف العاملة في حقل العروبة[2].

[1] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1(1997م) ج1، ص277.

[2] أبو القاسم سعد الله، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في قلب المعركة، ص93.

وفي عام 1920 معاد إلى مسقط رأسه في الجزائر، وشرع في حملته الإصلاحية برفقة عبد الحميد بن باديس والشيخ العربي التبسي ومبارك الميلي.

وفي ماي1931م أعلن عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فكان الشيخ الإبراهيمي واحدا من أبرز روادها و يبدوا أنّ الرّجلين كانا قد اتفقا على خطة الإصلاح في المدينة المنورة، حين قضى ابن باديس هناك ثلاثة أشهر.[1]

وفي عام 1933م يعد توسيع نشاط الجمعية في جهات الوطن الثلاث، كان الإبراهيمي في الجهة الغربية تحديدا في تلمسان، أما الشيخ ابن باديس فعلى الجهة الشرقية والشيخ العقبي في وسط العاصمة وفي أواخر ديسمبر عام 1939م كتب مقال عن نفيه إلى أفلو(ولاية الأغواط)، في مارس 1940م ليطلق سراحه عام 1942م فغادر إلى مدينة تلمسان ثم إلى العاصمة ليستقر هناك رئيسا لجمعية العلماء في سنة 1943م، أما عام 1952م فعاد إلى الشرق: كان الغرض من هذه الرحلة إصلاحي سياسي معربا عن هذا: "أما الغرض الأول: هو مشاركة دعاة الخير في هذا الشرق فيما يدعون إليه، وأنا أمرها أن هذا غرض يجب عليه أن أؤتيه بنفسي والثاني في التعريف بالجزائر المنسية من إخوانها، و دعوة الحكومات الإسلامية العربية على الخصوص إلى إعانتها في نهضتها الثقافية.[2]

*** نشاطه العلمي:**

لم يفارق في تعليمه بيت أسرته، فهي مدرسته التي تعلّم فيها وعلّم، أخذه عمه لتربيته وتعليمه منذ أكمل السنة الثالثة من عمره، وكان ملازما له حتى في نومه، فكان لا يخليه دقيقة واحدة من فائدة علمية، وكانت له طريقة عجيبة في تنويع المواضيع والمحفوظات حتى لا يمل واختصّ بذاكرة وحافظة خارقتين للعادة وعرف رحمه الله يودعها فيه، فيحفظ القرآن حفظا متقنا في آخر الثامنة من عمره، وحفظ ألفية ابن مالك وتلخيص المفتاح وما بلغ

[1] عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931م 1954م) جامعة وهران – ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (يناير 1994م) ص105.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 97.

العاشرة حتى كان حافظا عدة متون علميّة مطولة، وما بلغ الرابعة عشر حتى كان حافظا ألفيتي العراقي في الأثر والسير ونظم الدول لابن الخطيب ومعظم رسائله المجموعة في كتابه ريحانة الكتاب، ومعظم رسائل فحول كتاب الأندلس كابن شهيد وابن أبي الخصال وأبي المطرف ابن أبي عميرة، ومعظم رسائل فحول كتاب المشرق كالصابي والبديع مع حفظ المعلقات والمفضليات وشعر المتنبي كله وكثير من شعر الشريف الرضي وابن الرومي وأبي تمام البحتري وأبي نواس، كما استظهر كثيرا من شعر الثلاثة جرير والأخطل والفرزدق، وحفظ كثيرا من كتب اللغة كاملة كالإصلاح والفصيح ومن كتب الأدب كالكامل للمبرد والبيان للجاحظ وأدب الكاتب لابن قتيبة، ولقد حفظ في تلك السِّن أسماء الرجال الذين ترجم لهم نفح الطيب وأخبارهم وكثيرا من أشعارهم، وكان يحفظ عشرات الأبيات من سماع واحد مما يحقق ما يقرأه عن سلفنا من غرائب الحفظ وكان يشغله عمه في ساعات النهار بالدروس المرتبة في كتب القواعد وحده أو مع الطلبة ويمنحه ساعة من آخر كل يوم في فهم ما قرأ فيطرب لصحة فهمه، فإذا جاء الليل أملى عليه من حفظه كان وسطا أو من كتاب ما يختار له من الأبيات المفردة أو من المقاطيع حتى يحفظ مائة بيت، فإذا طلب المزيد انتهزه وقال له: إن ذهنك يتعب من كثرة المحفوظ كما يتعب بدنك من حمل الأثقال، ثم يشرح له ظواهر المعاني الشعرية، ثم يتركه يخلد للنوم رحمه الله.

مات عمه سنة 1903م وله من العمر أربعة عشر سنة، ولقد ختم على يديه دراسة بعض الكتب وهو على فراش المرض الذي مات فيه، ومنحه الإجازة المعروفة عامة، وأوصاه أن يخلفه في التدريس لزملائه الطلبة الذين كان حريصا على نفعهم ففعل ووفقه الله وأمدته تلك الحافظة العجيبة فتصدرت دون سنّ التصدّر، وأرادت له الأقدار أن يكون شيخا في سن الصبا، وما أشرف على الشباب حتى أصيب بآفة الغرور والإعجاب بالنفس، فكان لا يرى نفسه تقتصر من غاية حفاظ اللغة وغريبها وحفاظ الأنساب والشعر، وكاد يهلك بهذه الآفة لولا طبع أدبه مرح كريم، ورحلته إلى الشرق كان فيها شفاؤه من تلك الآفة.[1]

[1] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص16.

3- شخصيته ومكانته العلمية:

شخصيته كان الشيخ الإبراهيمي رجلا عظيما بعقله ووجدانه، بقلبه ولسانه، فالقريب والرقيق والسائل والمحروم، وهو الأب الشقيق والأخ الصديق الذي لا يبخل بجهده وجاهه وماله، وما تقربت منه إلا ملك قلبك بحلمه وغمر نفسك بكرمه قبل أن يشغل عقلك بعلمه ويسحرك بقلمه، وكانت الخصال البارزة فيه العلم و الوفاء[1].

كما كان فصيح اللسان رقيق الجنان جيّد البيان حلو الشمائل، فإذا تحدث دبر الحديث على شكل يحس السامع أنّه موجه إليه قبل غيره، وكان إنسانيًا في كل معاملاته، وكان يتابع حاجات الناس ومشاكلهم حتى تحلّ من غيره غفلة ولا نسيان وكان مطلعا خبيرا يعرف كل الأشياء ويصرفها التصريف الحسن، كان حاد الطبع عصبي المزاج، كان محبا للخير حاثًا عليه شديد التمسك بدينه يخاف الله ويخشى عقابه، شديد الحب لوطنه، متسامح كريم، وقد وصف الشيخ الإبراهيمي خلال هجرته إلى المشرق العربي بإمام المغرب العربي تارة و بعلامة المغرب تارة أخرى[2].

وقد أودع الله فيه من الصفات نذكر منها ما يلي:

- علما غزيرا فياضا متعدد النواحي عميق الجذور.
- اطلاعا واسعا عريضا يخيل إليك أنّ معلومات الدنيا قد جمعت عنده.
- حافظة ناذرة عن نظيرها وذاكرة مرنة جعلت صاحبها أشبه ما يكون بالعقل الإلكتروني.

هذا هو البطل الذي اندفعنا تحت قيادته الموفقة الملهمة تخوض معارك الحياة التي أعادت لشعبها بعد كفاح طويل لسانه الفصيح ودينه الصحيح وقوميته الواعية الهادفة[3].

*** مكانته العلمية:**

[1] أبو القاسم سعد الله: الشيخ الإبراهيمي في قلب المعركة، ص94.

[2] شكري فيصل: مجلة الثقافة المؤسسة الوطنية للفنون وحدة الطبع المتعددة، ورشة أحمد زبانة، الجزائر، ع87(1985م)، ص206.

[3] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص17.

يعتبر الإبراهيمي النموذج الأمثل للمثقف العربي في القرن العشرين، وقد تميز بشخصيته فذة، فهو الكاتب القدير والفيلسوف المفكر والأديب والخطيب والشاعر والمصلح الاجتماعي، وان ثقافة الإبراهيمي نابعة من التراث العربي، فقد حفظ دواوين الشعراء الجاهلية والإسلام، وحفظ فنون النثر من خطب ومقامات وحكم وأمثال فكان ذا ذاكرة خارقة وقد حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية وتمكن من علوم التشريع الإسلامي وعالج فنون اللغة العربية واشكالياتها في النحو والصرف والفقه، وقد اهتم اهتماما شاملا بعلم التاريخ العام وعلم النفس وعلم الاجتماع وكانت ثقافته تحفل بأخلاق نبيلة مما جعلته اجتماعيًا بطبعه ذات صلة بالجماعة وسائر فئات الشعب ويشاركهم فيشتي مجالات الحياة. وقد قال عنه أحد تلامذته: "من عجيب أمر الشيخ أنه إذا تكلم أو احتج أو خطب ألهب النفوس حماسة، وجعل القلوب تشرئب إليه للاستماع بفصاحة لسانه وسحر بيانه، يدخل المجلس كزهرة ذابلة، فإذا هو بعد الأخذ بناصية الكلام أشبه شيء بكوكب ذري...[1].

وقد كانت شهرته الأستاذية والإمامية ترافقه حيث كان لمكانته العلمية المرموقة حتى عرضت عليه (مشيخة) الأزهر من طرف السلطة المصرية آنذاك، لكنه اكتفى بعضويته في البحوث الإسلامية في الأزهر، هذا لفضله في المعرفة والعلم والجهاد. أما عن العلماء الذين ألقوا إليه بمقالد اللغة والبيان نجد منصور فهمي الذي حضر ندوة علمية وأدبية ألقى فيها الإبراهيمي كلة ثارت في نفوس الحاضرين، وقد ابتغاها وسيلة مثلى في نفوس الحاضرين، وقد ابتغاها وسيلة مثلى في يقظة الفكر وإحياء النفوس ونصرة العلم وخدمة اللغة العربية.
وقد رأى أحد العلماء والأدباء أن شخصية الإبراهيمي تشبه شخصية محمد عبده حيث يقول: "كنا نحسب أننا فقدنا محمد عبده في المشرق، حتى فوجئنا بالأستاذ الإبراهيمي في الجزائر، فإذا هو محمد عبده المغرب...[2].

[1] جميل صليبا (في ذكرى البشير الإبراهيمي)، ص 102 نقلا عن محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب قسم اللغة العربية – جامعة بغداد العراق (1404–1983م) ص 66.

[2] عبد الملك مرتاض: الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، نقلا عن محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص 68.

كما حقق الإبراهيمي صلحا اجتماعيًا وثقافيًا خاصة، وكان له وقفة أمام طلبة كلية الآداب وأساتذتها وهذا أثناء برنامج زيارته لجامعة القاهرة سنة 1952م حين: دخل إلى عدة أقسام دراسية في اللغة والتاريخ وعلم الاجتماع، فكان كلما دخل قسما وطلب (منه) أن يقول كلمة، يأخذ رأس موضوع الدرس من الدكتور المحاضر ويتحدث فيه بعذوبة واستفاضة وفصاحة كمن يغرف من بحر حديث العالم المتعمق بما حير وأدهش الأساتذة والطلبة[1].

يبدو أن الإبراهيمي صاحب ثقافة عميقة ذات أبعاد إيديولوجية عربية إسلامية، تكشف عن جذور الأصالة بدلالات دينها ولغتها وتاريخها. ورغم الظروف التي مر بها الشيخ الإبراهيمي استطاع أن يترك للجيل العربي بصورة خاصة بصمات فكره في ميادين البحث العلمي.

4- وفاته وآثاره:

* **وفاته:** عاد الإبراهيمي إلى وطنه الجزائر من رحلته الأخيرة أواخر سنة 1962م فوجد علم الحرية يرفرف فوق ربوع الوطن، محققا أمنيته بوجود الجزائر مطلقة بعد أن تركها موثقة ليتصل بالأمة الجزائرية، في أول صلاة أم فيها الناس بمسجد "كتشاوة" الذي أعيدت له صفة المسجد بعد أن حوله المستدمر إلى "كنيسة كان ذلك الاتصال بالجمهور عن طريق الإذاعة التي نقلت خطبتي الجمعة، فأعادت كلماته للكثيرين من رفاقه وغيرهم، أعذب الذكريات وأحلاها[2] وكان ذلك في نوفمبر 1962م.

فرح الشعب الجزائري بعودة الشيخ الإبراهيمي إلى الوطن، لكن هذه المرة لازم بيته، وقد أنهك جسمه المرض، فضعف جسمه، وشحب لونه وخف وزنه، وظل الشيخ على تلك الحالة إلى أن اختاره ربّه إلى جواره بعد ظهر يوم الخميس 20 مايو 1965م،[3] ودفن بمقبرة

---

[1] انظر (الذكرى التاسعة لوفاة الإبراهيمي) مجلة الثقافة الجزائر، 21 س 4، 1394ء 1974م نقلا عن محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص168.

[2] عمر بن قينه: (البشير الإبراهيمي مصلحا وثائرا) مجلة العربي الكويت، ع 250، 1399 هـ_1979م، ص47، نقلا عن محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص61.

[3] محمد البشير الإبراهيمي: (أنا) مجلة الثقافة، ع27، ص 32.

سيدي أحمد بالجزائر العاصمة، وقد كان لوفاته الأثر البليغ في نفوس الشعب الجزائري كافة، وكذا محبيه في البلاد العربية.

وقد حضر في جنازته الرئيس الراحل هواري بومدين و الشاعر الكبير المرحوم محمد العيد آل خليفة رفيقه في جهاده، وقف أحد أبناء الجمعية على جثمان الفقيد و رثاه بقصيدة حزينة جاء فيها:

قم بحق الإخاء وارث حميما * راحلا مخلص الولاء صميما**

صد عنك الذي دنا منك ودا * وحنا عاطفا عليك كريما.**[1]

وقد اهتم بعضهم بتقديم سيرته وجهاده و منزلته العلمية، وهذا في المجمع العلمي بالقاهرة حيث دعا إليه طه حسين والمجمع العلمي بدمشق وكتبت بنت الشاطئ ترثيه اثر وفاة الإبراهيمي التي نشرتها جريدة الأهرام تحت رحل البشير" في قولها:

على درب الجهاد التقينا

والى حزب الله انتمينا

وبالقلم وبالضمير تعارفنا

وقد كانت بنت الشاطئ ترى في الإبراهيمي المثل الأعلى للمثقف العربي، وكانت لهما صلة علمية وأدبية دائمة حين إقامته بالقاهرة رحمه الله .[2]

- آثاره:

لم يتسع له الوقت للكتابة والتأليف لكنه ألف للشعب رجالا، وعمل لتحرير عقولهم تمهيدا لتحرير أجسادهم، وصحح لهم دينهم ولغتهم، فأصبحوا مسلمين عرب وصحح لهم موازين إدراكهم فأصبحوا ألسنة أبية، وحسبه هذا مقربا من الرب ورضا الشعب.

---

[1] صالح خرفي: محمد العيد آل خليفة، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ورشة أحمد زبانة الجزائر (د. ط)1986م، ص 60.

[2] د. بنت الشاطئ: عائشة عبد الرحمان: قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، 9، نقلا عن محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص64.

ومع ذلك فقد ساهم بالكتابة في موضوعات مفيدة، و لكن لم يساعده الفراغ ولا وجد المطابع على طبعها. وقد بقيت كلها مسودات في مكتبة بالجزائر.

يمكن تصنيف مؤلّفاته إلى 3 مجالات لغوية، أدبية، إسلامية.

أ/ آثار الإبراهيمي اللغوية:

- **كتاب:** بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر.
- كتاب: النقابات والنفايات في لغة العرب.
- كتاب: أسرار الضمائر في العربية.
- كتاب: التسمية بالمصدر.
- كتاب: الصفات التي جاءت على وزن فعل (بفتح العين).
- كتاب: نظام العربية في موازين كلماتها.
- كتاب الاطراد و الشذوذ في العربية.
- رسالة في الفرق بين لفظ المطرد والكثير عن ابن مالك.
- رسالة في ترجيح أن الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاثة أحرف لا اثنان.[1]

ب/ آثار الإبراهيمي الأدبية:

- كتاب عيون البصائر وهو الكتاب الوحيد الذي طبع في حياة الإبراهيمي بعد الاستقلال.
- رواية كاهنة أوراس" وهي من النثر الجزائري الحديث ولم يطبع شيء.
- رواية الثلاثة: وهي عبارة عن مسرحية شعرية تشتمل على نحو : 881 بيتا كتبها في منفاه في مدينة أفلو .
- رسالة الضب": وهو بحث علمي أدبي يتناول فيه الكاتب وصفا دقيقا لحقائق علمية عن أصل هذا الحيوان و فصله.
- كتاب ما أخلت به كتب الأمثال من الأمثال السائرة، لم يطبع بعد.

[1] محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص47.

• كتاب: آثار محمد البشير الإبراهيمي كتبه في مرحلته الأولى من حياته في الحقل الوطني في العشرينات من القرن الماضي إلى نهاية الثلاثينات. جمع هذه المقالات نخبة من تلامذة الإبراهيمي، وطبعته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع للمرة الأولى سنة 1398 – 1979م وجعلته ،ج1، وكتاب البصائر" ج 2.

• كتاب: آثار البشير الإبراهيمي" وهو الجزء الثالث الذي يتناول مقالات أدبية و اجتماعية وسياسية و صحفية وقرارات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ولكن أعظم ما دون، "ملحمة رجزية نظمها في السنين التي كان فيها مبعدا في الصحراء الوهرانية، وقد تضمنت فنونا من المواضيع: تاريخ الإسلام ووصف كثير من الفرق التي حدثت في عصرنا هذا، وللمجتمع الجزائري بجميع فرقه ونحله، ولأفانين في الهزل وللمذاهب الفكرية والاجتماعية والسياسية المستجدة، ووصف الاستعمار ومكائده ودسائسه وحيله وتحذيراته للشعوب للقضاء على مقوماته[1].

*** آثاره في دراساته الإسلامية:**

لم يطبع شيء فقد اهتم الإبراهيمي رحمه الله بالدراسات الإسلامية وجعله مبدأ الإصلاح وهناك كتابين لم يطبعا بعدهما:

• كتاب: "حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام "بدأ فيه من أيام إقامته في دمشق بعد الحرب الأولى، وأتمه بعد ذلك في فترات بحث فيه ينابيع الماء في الإسلام".

• كتاب شعب الإيمان جمع فيه الأخلاق والفضائل الإسلامية.

• ولم تجمع كل آثاره وهذا لأنه قضى حياته كلها في التنقل والترحال في مواطن كثيرة وعديدة من العالم، في بلدان عربية وغير عربية وكان يخطب الخطب، ويحرر الرسائل الإخوانية ويحضر المؤتمرات والندوات ولهذا فله إنتاج غزير لم تمسه يد الطبع ولم تشمله وسيلة الجمع[2].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في المعركة، ص89.

[2] محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص76.

الفصل الأول

البشير الإبراهيمي وفكره الإصلاحي

أولا: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

ثانيا: أهداف الجمعية ومبادئها

ثالثا: مجالات عمل الجمعية

رابعا: الفكر الإصلاحي لمحمد البشير الإبراهيمي

أولا: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

برزت الجمعية إلى الوجود كحركة إسلامية ذات جذور اجتماعية قوية، وذلك في إطار الصحوة الإسلامية، وحركات التحرر العربية، فقد ظهرت في الوقت الذي تكاثر فيه الحديث عن اندماج الجزائر في فرنسا، والدعوة للتخلي عن الهوية الإسلامية، للحصول على الجنسية الفرنسية[1]، حيث جاء المرجع فيها العودة إلى نصوص الدين من كتاب الله وصحيح السنة وإجماع السلف.[2]

عشية الحرب العالمية الأولى غادر الجزائر جماعة من العلماء الشبان إلى تونس، والمغرب والحجاز ومصر والشام، بغية الحصول على الثقافة العربية والإسلامية، حيث معاهد العلم الكبرى، بعد أن حوصرت منابع العلم الأصلية من طرف الإدارة الاستعمارية، وبعد عودتهم إلى الجزائر عملوا على نشر الجرائد المختصة في تناول نهضة الجزائر الثقافية، وهذا ما جعلها تتطرق للقضايا السياسية، من منطلق دعوتها إلى الإصلاح الديني وتحقيق الوحدة الإسلامية والعربية.[3]

وكنتيجة للشعور بضرورة وحدة العلماء في أعمالهم كما كان ذلك في مقاصدهم- فقد ظهر سنة 1924م، تنظيم يسمى" الإخاء العلمي"، والذي كان يهدف إلى توحيد صفوف العلماء المسلمين الجزائريين، على أن الهدف الأسمى مجموع العلماء، كان إنشاء جمعية إسلامية تقوم بمهمة إعادة بعث التراث العربي الإسلامي في الجزائر، والدعوة إلى التمسك به، ولعب الشيخ عبد الحميد بن باديس[4]، دورا بارزا في الترويج لهذه الفكرة التي تجسدت بالفعل في 05 ماي 1931م، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي عن ميلاد الجمعية ما يلي: "تكونت في شكلها القانوني أواسط عام 1931 ميلادية، وكأن الله جعلها تنقيصا للاستعمار،

---

[1] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، ط2، 2005، ص ص 244 - 245.

[2] محمد البشير الإبراهيمي عيون البصائر 02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 223.

[3] الجيلالي صاري ومحفوظ قداش، الجزائر في تاريخ المقاومة السياسية 1900-1954، الطريق الإصلاحي والثورة، ترجمة عبد القادر بن حراث المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م، ص 24.

[4] رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية بين 1931-1956 العلمية الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، لجزائر 1901، ص 39.

فقد كان نشوان بمخمرة الفرح لمرور مائة سنة على استقراره في الجزائر، وقد قضى السنة التي قبلها في مهرجانات صاخبة دعا إليها العالم، فما لي إلا قليل، فما دخلت السنة الثانية حتى فوجئ بتكوين جمعية العلماء، في غمرة من ابتهاج الأمة بهذا المولود الجديد...".[1]

وقد ضمت 72 عالما جاءوا من مختلف أنحاء القطر، ومن مختلف الاتجاهات الدينية، حيث تم الاجتماع بنادي الترقي، وانتخب الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيسا للجمعية في غيابه، وفي هذا الصدد يقول بن باديس: "...لكنكم بتواضعكم وسلامة صدوركم، وسمو أنظاركم، جئتم بخلاف[2] تاليا اعتقادي في الأمرين، فانتخبتموني وأنا غائب[3]، كما انتخب الشيخ البشير الإبراهيمي للرئيس، بالإضافة إلى نخبة من رجال الإصلاح، أمثال الأمين العمودي (أمينا عاما)، الطيب العقبي (الأمين العام المساعد)، والشيخ مبارك الميلي (أمين المال)، والشيخ إبراهيم بيوض (نائب أمين المال).

ثانيا: أهداف الجمعية ومبادئها.

أعلنت الجمعية في بيان تكوينها أنها جمعية ثقافية[4]، وغير مهتمة بالشؤون السياسية، وهذا ما لاحظه عند تصفحنا للقانون الأساسي للجمعية[5]، وهو الشيء الذي يجعلنا ندرك عمق الفهم الذي كان عليه مؤسسوها الأوائل، وحسن تقديرهم، ومعرفتهم لحقيقة وغاية الإدارة الاستعمارية، فلقد أصرت الجمعية من أول يوم على أن تنأى بنفسها عن السياسة مع الإدارة الفرنسية، وأن تنصرف إلى تربية الشعب الجزائري فقد كان زعماء الجمعية يرددون أن مهامها العمل على إصلاح المجتمع وتقويمه في إطار ديني اجتماعي، أما السياسة فهي من غير اختصاصها على حد تعبير الرئيس الثاني للجمعية " الشيخ البشير الإبراهيمي "– في مقال نشرته صحيفة البصائر، ونشره عبد الرحمن بن العقون، ومما جاء فيه: "لجمعية

[1] أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإسلامي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص ص 101-102.

[2] محمد البشير الابراهيمي، آثار الإمام البشير الابراهيمي (1954-1956)، جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997، ج4، ص ص 164-165.

[3] محمد البشير الابراهيمي، أنا، مجلة الثقافة، العدد 87، ماي / جوان 1985م، ص 23.

[4] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ص 251.

[5] سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، قسنطينة، 1937.

العلماء أعمال ومواقف، ولها أعمال في الميدان الديني، لا يتطرق إليها التبديل والتغيير، لأن المرجع فيها نصوص الدين، ولها أعمال في ميدان التعليم العربي، ولا يعتريها الفتور ولا النكوص ولا التراجع، ولها في الحياة السياسية والاجتماعية للأمة الجزائرية آراء، محصتها التجربة، وأيدها المنطق، ومواقف لم تراع فيها إلا المصلحة المحققة أو الراجحة، ولم تبال بمواقفها بمن طار وبمن وقع، ولجمعية العلماء أضداد وخصوم ومن أعداء الجمعية الاستعمار وأنصاره وصنائعه، ومن خصومها تلاميذ الأقسام الابتدائية في السياسية، من أفراد، وأحزاب يضادونها كلما جروا من الأهواء فلم توافقهم، وكلما أرادوا احتكار الزعامة قلم تسمح لهم ".

وهذا ما نلمسه بوضوح في قانونها الأساسي الخاص، والتي اتسمت بالمهادنة، لذلك وافقت إدارة ميرانت (MIRANTE)، مسؤول الشؤون الأهلية، على طلبها بعد خمسة عشر يوما فقط من تقديمها.[1]

ولعل أهم تعبير عن أهداف الجمعية ومبادئها، ما جاء على لسان الشيخ عبد الحميد بن باديس وأوردته مجلة الشهاب سنة 1937م حين قال: "العروبة والإسلام، والعلم، والفضيلة، هذه أركان لقضيتنا، وأركان الجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي مبعث حياتنا، ورمز نهضتنا، نما زالت هذه الجمعية كما كانت تفقهنا في الدين، وتنيرنا بالعلم، وتخلقنا بالأخلاق الإسلامية العالية والفضيلة، وتحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا، وتربطنا بوطنيتنا العربية الإسلامية...".[2]

كما خص الشيخ البشير الإبراهيمي أهداف الجمعية بقوله:" إن جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده، وتطالب باستقلال قضائه، وتطالب بحرية التعليم، تدافع عن الذاتية الجزائرية التي هي عبارة عن العروبة والإسلام مجتمعين في وطن".[3]

---

[1] عبد الرحمان بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 376.

[2] أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإسلامي في الجزائر، ص 98.

[3] جريدة الشهاب، مجلد 13، سنة 1937م، ص 20.

أما عن مبادئها فتتمثل في:[1]

- إحياء الدين الإسلامي، وتطهيره من الشوائب التي علقت به.
- تطوير الثقافة العربية الإسلامية.
- توحيد أبناء الشعب الجزائري تحت راية العروبة والإسلام.
- توعية الشباب الجزائري بالشخصية الجزائرية، وتهيئته للنضال في المستقبل.
- إقامة جسور للتعاون بين الجزائر والدول العربية الإسلامية.
- الدعوة إلى توحيد العمل المشترك مع أبناء تونس والمغرب.
- نشر تعليم عربي مستوحى من الوحدة العربية الإسلامية.

ثالثا: مجالات عمل الجمعية.

من أجل تحقيق الأهداف التي رسمتها الجمعية لنفسها وضعت برنامجها، ومنهاج عمل يعتمد على مجموعة من الأسس، لخصها الأستاذ أحمد مريوش في النقاط التالية:

- الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والسلف الصالح، وتلك هي المرجعيات الأساسية في سياسة الإصلاح الذي تبنته الجمعية.
- مخاطبة العقل، والدعوة للحداثة، ومحاربة الجمود والتصدي للطرقية، والخرافات والبدعة التي عاشت في عقلية الجزائريين .
- الاعتماد على المرحلية في النهج الإصلاحي، وكذا التعايش مع الطرف الآخر، بغرض تثمين الذات الوطنية واستعادة ما استلب منها، ونبذ الخلاف لرسم معالم التوجه الجديد.
- توظيف الكيف لضمان الاستمرارية في الحقل البنائي الحركية المجتمع المعاصر.[2]

وفي العموم فقد اتخذت الجمعية شعارا لها:" الجزائر وطننا العربية لغتنا، الإسلام ديننا وهي تشكل المحاور الكبرى لبرنامج عملها والقضايا التي اهتمت بها، المنبثقة أساسا من واقع المجتمع الجزائري، في ظل الاستعمار الفرنسي وسياساته المنتهجة في جميع الحالات، ويمكن تلخيصها هذه كما يلي:

---

[1] أحمد طالب الابراهيمي، آثار البشير الابراهيمي، عيون البصائر، ج2، ص 12.

[2] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ص 264.

1- المجال الديني:

إدراكا من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للأهمية القصوى التي تمثلها العقيدة في حياة الأفراد، جعلها تتخذها كانطلاقة لمشروعها التغيير والإصلاحي وتركز معظم أعمالها عليها، لتحقق بما الإصلاح الفعال الذي يقوم على أولوية البناء الداخلي الذي يتوقف صلاحه على صلاح العقيدة التي تملأه، ويتمثل المنهج الذي اعتمدته الجمعية في تغيير نفس الإنسان الجزائري بتخليصه من ركام الأفكار والتصورات الخاطئة التي تدفعه إلى الركود والانحراف كما يلي:

1-1- تطهير الإسلام مما علق به من الشركيات والبدع والخرافات: إن الإصلاح ينبغي أن يبدأ الدين بتنقيته من الخرافات والبدع التي طمست على عقول المسلمين، وكانت سببا في تأخرهم، لقد كان الجزائريون زمن الجمعية يعتقدون اعتقادات فاسدة كالتبرك بأضرحة الأولياء، والاعتقاد في قدرات وادعاء قدسية شيوخ الطرق والرقص والتهتك في الاحتفالات المبتدعة، واختراع أذكارا محرفة، وقربات المخالفة للكتاب والسنة، بلغت بهم إلى درجة الوثنية التي وصفها المبارك الميلي بالجاهلية الحاضرة بعد جاهلية عصر الوحي، بل انه ذهب إلى أبعد من ذلك في الوصف فقال:" انه لا فرق بينهما في الجهل بما ينافي التوحيد ولا في الابتلاء بالمبتدعين والدجالين، ولا في التبرك بالآثار احتماءا من الأقدار، ولا في التقرب من الأحجار والنفور من المرشدين والأخيار، ولا في عصيان من خلقهم وعبادة ما تحتوه ولا في افتراق الكلمة والانقسام إلى شيع متعادية.[1]

لقد أدركت الجمعية خطورة الوضع الذي بلغه المجتمع الجزائري من جراء الانحرافات الكثيرة التي نسبت إلى الدين، وتركت آثارا سيئة للغاية في المجتمع الجزائري، فكانت الدعوة إلى العودة إلى الإسلام الصحيح المستمد من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف ألف الشيخ مبارك الميلي كتاب " رسالة الشرك ومظاهره"، كما تولى الإمام ابن باديس تأليف كتاب "العقائد الإسلامية "، وقد جاء في أصول

[1] أحمد مريوش، محاضرات في تاريخ الجزائر 1900-1954م، ج2، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2013م، ص 222.

هذه الدعوة ما نصه : "فكل شرك في الاعتقاد أو في القول ، أو في العمل فهو باطل، بناء القباب على القبور، وقد سرج عليها، والذبح عندها لأجلها والاستغاثة بأهلها ضلال في أعمال الجاهلية[1]، والإصلاح هنا لم يكن بتعليم عقيدة جديدة إنما بتطهير ما هو كائن، وتحديد فعاليته في المجتمع كما يقول : أن المشكلة لا تكمن في تعليم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى مالك بن نبي هذه العقيدة فاعليتها وتوتها الإيجابية وتأثيرها الاجتماعي."[2]

1-2- محاربة الزوايا والطرقية المنحرفة:

قاومت الجمعية الطرقية الضالة التي كانت أداة طبيعة للاستعمار، خصوصا أن المخططين لهما من كبار فلاسفة الاستعمار ومفكريه، هذا ما جعلهم يطلقون شعارات باطلة منها " من لم يكن له شيخ، تشيخه الشيطان" الأمر الذي جعل العلماء المصلحين يشرحون للرأي العام زيف الترهات والأباطيل المنافية للإسلام، ويكشفون للناس تواطؤ بعض أولئك الرؤساء والشيوخ مع حكام الاستعمار، أعداء الإسلام وخصوم كل نهضة ويقظة وتقدم.[3]

وكان رد ابن باديس والإبراهيمي: " أن هذا البلاء المنصب على الشعب المسكين، آت من جهتين متعاونين عليه ... استعمار مادي، وهو الاستعمار الفرنسي، واستعمار روحاني يمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب أو المتاجرون باسم الدين والمتعاونون مع الاستعمار عن رضى وطواعية.[4]

وتحت عنوان لماذا حاربت الشهاب الطرقية ؟ علق ابن باديس "حاربنا الطرقية لما عرفنا فيها علم الله – من بلاء على الأمة من الداخل والخارج، فعملنا على كشفها، وهدمها

---

[1] مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، دار الغرب الإسلامي، ط5، 2000م، ص 109.

[2] آثار الإمام ابن باديس، ج3، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ط1، 1991م، ص 155.

[3] مالك ابن نبي، وجهة العالم الاسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، بإشراف ندوة بن نبي، دار الفكر، الجزائر، دمشق، ط5، 1986م، ص 54.

[4] محمد الصالح رمضان، جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثقافي، مجلة الثقافة، عدد 83، السنة الرابعة عشر، سبتمبر/ أكتوبر 1984م، ص 362.

مهما تحملنا في ذلك من صعاب..."[1]، ورغم أن هذه الحرب لم ترق للطرقيين، إلا أن الكثير رحبوا بها أمثال مالك بن نبي الذي أيد الجمعية في هذا الجانب.[2]

1-3- محاربة حركة التبشير المسيحي:

يعد التبشير سبيلا للسيطرة السياسية والروحية ، لذا حاولت فرنسا القضاء على كل ما ليس نصرانيا ، لإظهار النصرانية في مظهر الديانة الإنسانية، وهذا ما يعلل تحاملها على الدين الإسلامي، الذي تعتبره خطرا عليها ، لذلك على إتباع كل السبل للحد من انتشاره، وكانت الجمعية تنظر إلى التبشير على أنه : "نتيجة من نتائج التعصب المسيحي المسلح، ومولود من مواليد القوة الطاغية التي تسمي كل ما ترضى عنه من الأعمال المنكرة حرية الدين أو حرية الفكر، وانه أداة من أدوات السياسة في توب ديني، وشكل كهنوتي دفعته أولا ليكون رائدها في الفتح وقائدها في الاستعمار.[3]

وكانت الجمعية ترى انه من المعقول أن يثمر التبشير في بلد كالجزائر لتوفر الظروف المواتية لذلك فعملت الجمعية على القضاء على هذه الحركة ومقاومتها عن طريق المحاضرات والدروس العامة، ومن خلال تعليمها للشعب الجزائري قيمة دينهم وضرورة التمسك به وبأنه جزء مهم في هويتهم وشخصيتهم التي لا تقوم إلا على المبادئ التي تنادي بها الجمعية (الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا) ونجحت في ذلك إلى حد بعيد، فلم تتمكن الحركة التبشيرية من تحقيق مرادها أمام تصلب الجزائري في دينه مهما بلغت به العامية والأمية والفقر.[4]

---

[1] نصر الجويلي، جمعية العلماء المسلمين بين الدين والسياسة، المجلة التاريخية المغربية، السنة الخامسة عشر، العدد 50/49 جوان 1988م، تونس، ص 109.

[2] المرجع نفسه، ص 110.

[3] مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، العادة الرابعة، ط2، 1427هـ-2004م.

[4] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين المنعقد بمركزها العام "نادي الترقي بالجزائر"، دار الكتاب، الجزائر، ص 72.

1-4- المطالبة بفصل الدين عن الدولة:

أدركت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأنه لا يمكن المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية طالما أن مساجد المسلمين وأوقافهم تستغلها الحكومة الفرنسية، فكانت المطالبة بتطبيق قانون فصل الدين على الدولة.[1]

وقد بينت الجمعية مقاصدها من خلال تقديمها لتقرير يتعلق بالشؤون الدينية، جاء بعبارة: نحن باسم الدين وباسم الأمة نتمسك بفصل الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية، نريد تطبيقه على الكيفية الآتية:

- فصل الدين الإسلامي عن الحكومة فصلا حقيقيا، بحيث لا يتدخل في شيء من شؤونه لا ظاهرا ولا باطنا، لا في أصوله، ولا في فروعه.

- تسليم ذلك كله إلى أيدي الأمة الإسلامية صاحبة الحق المطلق فيه، وتعزيز سلطتهم على أمور دينهم تقريرا فعليا خالصا لا التواء فيه.

2- المجال الثقافي الاجتماعي:

يمكننا اختصار الدور الثقافي والاجتماعي الذي قامت به الجمعية، من اجل إخراج الشعب الجزائري من الوضعية التي كان يعيش فيها في النقاط التالية:

2-1- مقاومة الأمية، وتربية وتعليم الناشئة:

أدركت الجمعية أن التعليم هو السبيل إلى التحرر، فالأمة الجاهلة لا يمكنها الحصول على الاستقلال ولا المحافظة عليه، ولأجل ذلك انطلقت الجمعية في نشر التعليم، في سبيل الوصول إلى القضاء على الجهل، ونشر الوعي الصحيح، من خلال تأسيس المدارس العربية الحرة التي فاق مجموعها حسب الشيخ البشير الإبراهيمي 140 مدرسة، احتضنت نحو 50.000 تلميذ من الذكور والبنات، وبلغ مجموع معلميها نحو 400 معلما.[2]

[1] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين المنعقد بمركزها العام "نادي الترقي بالجزائر"، ص 73.

[2] أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإسلامي في الجزائر، ص 173.

نشر الوعي الديني والاجتماعي والثقافة، في أوساط الشبيبة والعمال وعامة الناس، بواسطة الجرائد والجلات، وتنشيط مئات الجمعيات العلمية والخيرية والدينية والرياضية، وعشرات النوادي.

2-2- محاربة الآفات الاجتماعية: كمعاقرة الخمر، وتعاطي المخدرات، ولعب القمار، و غيرها...

- **الاهتمام بالطفولة:** فقد حاول دعاة الإصلاح من رجال الجمعية الإلمام بما هو يخص المجتمع واهتموا بالطفولة والأرامل والأيتام ولذلك حاولوا أن يؤسسوا هذه الجمعية التي تهتم برعاية الأطفال والجمعيات الخيرية لإنقاذ الطفولة والنشء من التشرد والضياع لأن الإسلام قد أعطى أهمية بالغة هذه الشريحة من المجتمع وشد على الاهتمام بها.[1]

2-3- الاهتمام بالمرأة:

من خلال التوعية المسجدية، والتعليم الذي شمل في سنة 1952م، نحو 13.000 بنت في مدارس الجمعية،[2] فقد كانت المرأة المسلمة في الجزائر قبل ظهور الحركة والفهم الإصلاحية تعاني الجمود والركود والجهل والحرمان بسبب العادات والتقاليد الفاسدة ، الخاطئ للدين الإسلامي، وتشير الجمعية إلى الدور المهم الذي تلعبه المرأة في الأمة الواحدة، فترى أن الأمة كالطائرة لا تطير إلا بجناحين وجناحاها هما الرجل والمرأة، لا يمكن أن تطير إلا بمماء ومن ثم فإن الأمة التي تقصر التعليم على الرجل دون المرأة، ستكون نهايتها السقوط لا محالا.[3]

3- المجال الاقتصادي:

إذا كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قد ركزت عملها على الجانب الثقافي الاجتماعي، فليس معناه أنها كانت بعيدة عن واقعه الاقتصادي، فقد طالبت السلطات

[1] أحمد الطالب الابراهيمي، عيون البصائر، ص 175.

[2] عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ط1، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، 1983م، ص 10.

[3] أحمد الطالب الابراهيمي، المرجع السابق نفسه، ص 170.

الاستعمارية بتحقيق العدالة . من حيث الأجر، ووقت العمل بين الجزائريين والفرنسيين أثناء العمل، بالإضافة إلى إلغاء كل القوانين التي تعيق المواطن الجزائري من أجل خدمة أرض، وتجسدت هذه المطالب في:

- تساوي الأجور إذا تساوى العمل.
- تساوي الرتبة إذا تساوى الكفاءة.
- توزيع إعانات الميزانية الجزائرية للفلاحة صناعة تجارة.
- السماح بتكوين جمعيات تعاونية فلاحية، ومراكز التعليم الفلاحي.
- الإقلاع عن انتزاع ملكية الأرض من الجزائريين
- توزيع أراضي البور الشاسعة على صغار الفلاحين وعمال الفلاحة.
- المطالبة بإلغاء قانون الغابات.[1]

ومن مظاهر اهتمام جمعية العلماء بهذا الجانب، أقدمت على تأسيس العديد من الجمعيات المهنية، كجمعية التجار المسلمين التي أسستها الجمعية بقسنطينة، والجمعية الاقتصادية، وذلك التحقيق الاستقلالية الاقتصادية للشعب الجزائري وإنعاش مصادر رزقه وعيشه، حتى لا يحتاج لفرنسا، وذلك أنها أي فرنسا كانت تستغل الفقر لابتزاز الشعب، ومعظم التجار كانوا من اليهود.[2]

3-1- محاولة تأسيس البنك الإسلامي الجزائري:

كانت هناك محاولات لتأسيس هذا البنك من طرف كبار تجار العاصمة من بينهم السيد محمد عباس التركي، حيث دخلت جماعته في مفاوضات مع السلطة الفرنسية، من أجل الحصول على الاعتماد لهذه المؤسسة المالية، لكن السلطات الاستعمارية عارضت فكرة

[1] زبير بن رحال، عبد الحميد بن باديس، رائد النهضة العلمية والفكرية (1889-1940)، دار الهدى، الجزائر، 1997م، ص 63.

[2] رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار، 2001م، ص 108.

المشروع، ورفضت بشدة معتبرة إياه شيء يميز الهوية الإسلامية، وهي لا تريد بأي شكل من الأشكال للمظاهر الإسلامية أن تظهر.[1]

3-2- جمعية الزكاة: اجتهد العلماء في إعادة الاعتبار لممارسة الزكاة المنتظمة التي طالما أهملها الجزائريون،[2] وهذا أملا في أن يستفاد منها لتحسين الاقتصاد العام في الجزائر، حيث تمكنت الجمعية من جمع أموال طائلة، من أموال الزكاة ، أنفقتها في وجوهها الشرعية، لكن تماطل بعض من يملك أموال الزكاة في دفعها، ورؤيتهم على أن كل واحد يدفعها بنفسه أدى إلى تعطل المشروع، إن دعوة العلماء من اجل أداء الزكاة في حينها تهدف إلى ترقية التضامن الاجتماعي والاقتصادي في صلب الأمة، حيث كان التضامن بالنسبة لهم أمرا مستعجلا، لاسيما وأن النظام الاستعماري لم يكن يظهر كبير عناية للتحرر الاقتصادي للشعب الجزائري.[3]

في سنة 1936م برزت الجمعية ككتلة سياسية متماسكة، بعدما شاركت في المؤتمر الإسلامي، وهو أول مؤتمر يحاول أن يخرج بكلمة وطنية موحدة، يواجه بها حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا، وألقى : فيه الشيخ عبد الحميد بن باديس خطابا، أكد فيه مبادئ الجمعية، مع ضرورة إعطاء حقوق الجزائريين، وبانعقاد المؤتمر الإسلامي[4] يوم 07 جوان 1937م في الجزائر، والذي تزعمته جمعية العلماء باقتراح من رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس، حيث رأى أنه " النجار أكثر واقعية، وأكثر عملية للاتحاد والتنظيم المنشودين "، وقد خص مطالب المؤتمر في وثيقة، أعطى لها عنوان " الميثاق المطلبي للشعب الجزائري المسلم".[5]

---

[1] عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر، (1913-1940)، دار الشهاب، بيروت، 1999م، ص 193.

[2] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات)، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، 2009م، ص 177.

[3] المرجع نفسه، ص 178.

[4] Claud callot ،Jean Robert Henry ،le mouvement national algérien، textes 1912 1954 ،2ème édition ،Alger ،o .p .u et l'harmattan ،Paris ،1981. P 64.

[5] أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، 195p.

لقد اظهر المؤتمر الجمعية بمثابة قوة معنوية وسياسية هامة في الساحة الوطنية، فمن خلال خطبهم ومشاركتهم الفعالة في لجنته التنفيذية، ووفده الذي سافر إلى باريس، اعتبروا الممثل الأكثر أهلية للأمة الجزائرية، فقد أظهر المؤتمر الجمعية كأنها المثل الشرعي والشعبي والمؤسساتي الوحيد التي تتكلم باسم الأمة الجزائرية، وتمثل جميع مطالبها الدينية والسياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

رغم كل ما سبق نجد أن علي مراد يؤكد أن المذهب الإصلاحي الجزائري لم يول العناية اللازمة لمشاكل الاقتصاد العينية للأوجه المختلفة لاستثمار رؤوس الأموال، فلم يتمكن ابن باديس وأصحابه، إما بدافع الحذر، أو لانعدام مذهب مبلور كما ينبغي في هذا المجال من إرضاء أتباعهم الأوفياء، ويؤكد أن الإصلاحيين لم يكونوا ميالين للجانب الاقتصادي، ذلك أن النزعة الأخلاقية كانت تطغى عليهم، لكن في المقابل كانوا يشجعون المبادرات الفردية في هذا الجانب، ويدعمونها.

4- المجال السياسي:

رغم أن القانون الأساسي للجمعية يؤكد أنها لا تخوض في الأمور السياسية، كما ذكرنا سابقا، إلا أن هذا لا يعني أنه ليس لها موقف أو وجهات نظر في هذا الجانب، بدليل:

4-1- مقاومة سياسة التجنس:

يحدثنا الشيخ البشير الإبراهيمي عن حرب جمعية العلماء، بقيادة ابن باديس السياسة التجنيس والاندماج، وكيف واصلت هذه الحرب حتى قضت عليها، فيقول:" حاربت جمعية العلماء، سياسة الإدماج في جميع مظاهرها، فقاومت التجنيس، ونازلت أنصاره الخمس، ودعاته المقاويل، حتى قهرتهم، وأخرستهم، وقطعت عليهم الحبل في أيديهم، ثم أفتت فتواها الجريئة فيه[1]، يوم كانت الجرأة في مثل هذه المسائل بابا من العذاب، فكان ذلك منها تحديا للاستعمار، وإبطالا لكيده، وتعطيلا لسحره، وأثبتت بتلك المواقف للجزائر إسلاميتها".

[1] رابح تركي، ابن باديس رائد الإصلاح، ص 438.

4-2- مقاومة الإدماج:

جعل الشيخ ابن باديس من دروسه ومقلاته في جرائد الجمعية، وسائل لمحاربة الفرنسة والاندماج، وقد عبر عن رفضه لسياسة الإدماج في جريدة الشهاب، بقوله : إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية هي فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد، في لغتها، وفي أخلاقها، وفي عنصرها، وفي دينها ، لا تريد أن تندمج، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري...".

كما نددت الجمعية بالحكم الاستعماري وممارساته الظالمة، بالإضافة إلى المطالبة بحق الجزائريين كافة في الانتخاب، كما كانت تسعى لتحقيق الوحدتين العربية والإسلامية، وتبني قضاياهم وفي مقدمتها قضية فلسطين[1]، كما تجاوزت الجمعية كل هذه المطالب، والرفع من سقفها بالمطالبة بالاستقلال، ولو بطريقة غير مباشرة، حيث صرح بذلك ابن باديس سنة 1936م، أمام جمع من الأنصار قائلا : "وهل يمكن لمن شرع في تشييد منزل أن يتركه بدون سقف ؟ وما غايتنا من عملنا إلا تحقيق الاستقلال"[2]، لكن للأسف نجد من يشكك في هذه الحقيقة، أو ينكرها من المناهضين للجمعية وفكرها.

لقد كانت دعوة ابن باديس صريحة في التخطيط لانتشال الأمة الجزائرية من الوضعية المزرية التي آلت إليها من جراء معاول الخدم الاستعمارية التي فرضت عليها، فتجد في جريدة الشهاب نصائح يعطيها الشيخ للجزائريين، وهي تصالح متعددة الأهداف تسعى لترقية الأمة الجزائرية، ما أحوجنا للعمل بها في وقتنا الحالي.[3]

4-3- الوسائل التي استعانت بها الجمعية لتحقيق أهدافها: يمكن اختصارها فيما يلي:

- تأسيس المدارس والمساجد الحرة، وإصدار الصحف والمجلات.
- بعث التاريخ الوطني لإبراز انتماء الجزائر العربي الإسلامي.

---

[1] أنظر: نص الفتوى: جريدة البصائر، عدد 95، 1938/01/11م، ص 02.

[2] الشهاب، مجلد 12، محرم 1355هـ/ أفريل 1936م، ص 44.

[3] أحمد مريوش، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج1، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2013م، ص 274.

– تكوين الكشافة[1]، والفرق الرياضية والمسرحية، وفتح النوادي.

اختلفت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين اختلافا كبيرا عن الحركات الأخرى، فهي لم تكن ثورية، ولا موالية للفرنسيين، بل كان علماؤها قبل كل شيء مصلحين وطنيين، فقد أعطوا الأولوية للتعليم العربي الإسلامي، وكانوا قد عارضوا بشدة دمج الجزائر في فرنسا، إذ أن برنا مهم كان تابعا من واقع المجتمع.[2]

رابعا: الفكر الإصلاحي لمحمد البشير الإبراهيمي.

1- دواعي النزوع الإصلاحي عند الإبراهيمي

تبنى الإبراهيمي الفكر الإصلاحي للمجتمع، هادفا من وراء ذلك تحقيق تقدم جوهري للجزائر وإعادة تشكيل مجتمع جديد، والمحافظة على الرؤية التاريخية التي يستلزمها في ترسيخه قوى سياسية واجتماعية وفكرية تتلاحم فيما بينها لتكون عناصر الثورة التي ترمي إلى التغيير الجذري في شتى الميادين والقضاء على الجهل والأمية والتخلق من جراء الإستدمار.

ولاشك أن ظهور المنهج الإصلاحي عند الإبراهيمي وبراعته كان وليد ظروف استعمارية بحتة، ذلك أن الاستعمار يهدف إلى القضاء وطمس جل مقومات الشخصية الجزائرية، لذا كان الإبراهيمي ناقما عليه حاقدا، يضفي ويلصق كل صفة نميمة به، ونجد هذا في قوله: "استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي يعتمد على الحديد والنار، واستعمار روحاني يمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب والمتعلقون في جميع أوساطه المنجرون باسم الدين المتعاملون المتعاونون مع الاستعمار عن رضى وطواعية[3].

ولقد عالج الإبراهيمي مختلف القضايا بفكره وقلمه وتأثره بالإصلاح ناتج عن مستواه الفكري والعلمي، والحافظة الذهنية التي وهبها الله له، فقد حفظ القرآن حفظا متقنا وهو في

[1] عمار طالبي، ابن باديس، حياته وآثاره، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1983م، ص 89.

[2] أبو القائم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط4، بيروت، لبنان، 1992م، ص 406.

[3] محمد البشير الإبراهيمي: مجلة الثقافة (أنا) ص145.

التاسعة من عمره وقد تمعن في معانيه ودرسها وتذوق بيانه طول عمره، فطمر أثر ذلك كله في نفسه وقلبه وفكره ولسانه.

ولقد عرفت الحركة الإصلاحية مشرقا ومغربا كثيرا من هؤلاء المفكرين الذين شغلتهم مسؤولياتهم الاجتماعية اليومية عن الكتابة والتأليف، نذكر منهم: جمال الدين الأفغاني، محمد عبده بمصر، سالم بن حاجب بتونس، ومحمد بن العربي الحاوي بالمغرب وبيوض إبراهيم بجنوب الجزائر، فهؤلاء أيضا قضوا حياتهم في تأليف الرجال لا في تأليف الكتب[1].

كما كان الرحلات الإبراهيمي في مختلف الأقطاب أثر في ظهور الإصلاح لديه وخصوصا بالمشرق العربي لاحتكاكه بأفكار الإصلاح أمثال الأفغاني ومحمد عبده وغيرهم، فقد راح إلى المشرق ليمثل الجزائر التي صارت لا تذكر، وبجمعيته التي أحيت الجزائر، ومن وراء كل هذا أصبحت الجزائر شيئا مذكورا بما القي من محاضرات في النوادي والتجمعات وديباجة مقالات في الصحف والمجلات وما حضر من مؤتمرات وكان قد حقق نجاحا باهرا يعجز عن تحقيقه كثير من الرجالات[2].

2- أبعاد النزوع الإصلاحي:

2-1- البعد الاجتماعي:

إذا كانت الثورة تعتبر مسار الحياة في حالتها التي لا ترضي الأمة في الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، فإن الإبراهيمي جعل من الكلمة الإصلاحية سلاحا وعنصرا مكونا للثورة الذي يهدف من ورائه إلى التغيير والثورة على الأوضاع وذلك هو شأن حركة الإصلاح. فرجل الإصلاح هو رجل الثورة وسلاحها يتعدد بتعدد نوعيات هذه الثورة.

إن الفكر الاجتماعي عند الكاتب أو المفكر يقتضي منه معايشة منعطفات الحياة الاجتماعية في أمته ويحدد صيرورتها داخل قطبين متوازنين هما: قطبا نهضتها ونكستها.

---

[1] محمد الهادي الحسيني مجلة الموافقات ،4، 4، 1416- 1995م، ص 581 نقلا عن عبد الملك مرتاض: فنون النشر الأدبي في الجزائر، ص45.

[2] المرجع السابق نفسه، ص60.

ولعل هذه الضرورة تتجلى بوضوح لتميز الخصائص الأساسية لكتابات الاجتماعيين أو المصلحين الذين أفرزهم تيار الحضارة الاجتماعية.

وهذه الميزة قد حواها أدب الإبراهيمي أخذت سمتها في البعد الاجتماعي الإصلاحي لأنه عايش المجتمع الجزائري بواقعه وقرأه كما يقرأ الكاتب، فهو يعبر عن تجاربه وعن الحيز الذي هو فيه فهو القائل في بعض كتاباته من أراد أن يخدم هذه الأمة فليقرأها كما يقرأ الكتاب وليدرسها كما تدرس الحقائق العلمية فإذا استقام له ذلك، استقام له العمل، وأمن الخطأ فيه، وضمن النجاح و التمام له، فإن تصدى لأي عمل يمس الأمة من غير درس لاتجاهها ولا معرفة بدرجة استعدادها كان حظه الفشل .[1]

وبناءا على هذا يمكن للدارس أن يخلص إلى معالم تجديدية في البعد الاجتماعي وذلك من خلال كتاباته و تناوله لقضايا اجتماعية، حيث عالج الإبراهيمي مختلف القضايا الاجتماعية، فلقد ورد في مجلة الثقافة في عددها 87 وفي سنتها 15 نضاله حيث نجده يعيش حياته داخل المجتمع الجزائري، وفي إطار حركة توعية و إيقاظ الشعب الجزائري في الحق والعدل والحرية والانعتاق، لقد بنى الرجل مسيرته على أساسين هما:

– من إرادة الشعب الجزائري في الحياة الحرة.

– من مبادئ الحركة (الباديسية) التي وجدت لأن تكون لسانا وعقلا وتنظيما بإرادة الشعب نفسه وطموحه المشروع و قيمه الراسخة[2].

فمعاناة الكاتب وإحساسه العميق بالواقع الأليم الناتج عن مفعولية الحدث وإن العدل المفقود من أعوز الحقوق الاجتماعية تثبت وجود شعب، أو تقرأ انعدامه بسلبه حريته وكرامته، وإن أدب الإبراهيمي الذي مداره مشكلات المجتمع الجزائري المختلفة بعكس مرحة الاستعمار وسمة المعاناة بارزة وواضحة في كتابات الإبراهيمي الاجتماعية، وقد حاول بجهده أن يصلح كثيرا من العادات والمعتقدات الفاسدة في المجتمع الجزائري في وقت كان فيه الطموح إلى الثورة و التغيير من خلالها أمرا يعد مستحيلا، كما عد التحليل والاجتهاد

[1] محمد البشير الإبراهيمي: حقائق جريدة البصائر –2–دار الغرب الاسلامي، س11(1367–1947)، ص1.

[2] زهور ونيسي: بعض من رؤية الإبراهيمي في الإصلاح الاجتماعي، مجلة الثقافة، ج15، ص87(1985) ص 88.

الفكري من أكبر الكبائر غير أن الإبراهيمي بذكائه وحدة بصيرته استطاع أن ينفذ إلى أعماق المجتمع غير مبال بجميع الظروف والضغوط معنوية كانت أم مادية فكان يرتكز على محاولاته الإصلاحية على جانب سام ألا وهو مبادئ الدين الإسلامي الصحيح.

وأبرز قضاياه الاجتماعية التي عالجتها قضية الزواج حيث يقول في هذا الشأن: حتى لا يضيع على الجنسين ربيع الحياة ونسماته وازدهاره، وبهجته وقوته، ويضيع على الأمة بنات ذلك الربيع وثمره الخصب والنماء والزكاء فيه، ثم يضيع بسبب ذلك أخلاق أعراض وأموال وإذا زادت هذه الفاشية فشوا، واستحكم هنا التقليد الفاسد فان الأمة تتلاشى في عشرات السنين[1].

فالتقليد الفاسد هنا هو إعراض الشباب عن الزواج، فقد دعا إلى الزواج المبكر بسبب كما يري أن أي أمل في الحرية والانعتاق إنما يتمثل في توفير الظروف الملائمة كما وكيفا.

2-2- البعد السياسي:

خاض الإبراهيمي غماره في أدبه وكتاباته واكتسب أدبه أبرز صفة وهي أنه أدب تحرري، غايته تصوير الحياة الثائرة في الجزائر، وكان سياسيا بارعا بحق فيبارز الخصم ولا يخشى لومة لائم ويقف في وجه ليقول كلمة الحق فكان يندد بجرائم الاستعمار وسطوه الفظيع، وقد كافح من أجل تحرير الوطن فاتخذ من الكلمة سلاحا له في وقت كان الاستعمار بحديده وناره يتحكم في رقاب الناس ويسلّط قوته عليهم، رغم كل هذا وذلك هاجم الاستعمار الفرنسي وسياسته وتحداها وشف حقيقتها، وكان واحدا من مجددي فكرة الوطن الجزائري، وواحد من المحافظين على الهوية الدينية الواقعة تحت وطأة الإكراه المادي والمعنوي للمشروع الاستعماري.

وقد قال في الاستعمار وجرائمه أنه:

[1] ينظر: مجلة الأصالة ،الجزائر، 13، س 3/1391هـ-1937م، نقلا عن محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص 92.

"جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن، كما تجيء الأمراض الوافدة، تحمل الموت وأسباب الموت ..."[1].

ونجد الإبراهيمي في تعبيره جريئا وصريحا عن بشاعة هذا المستعمر الذي حاول جادا بتر الشعب الجزائري من جذوره و هدم هويته و القضاء على أصالته، لذلك عمل جاهدا على توعية الشعب وتبصيره بحقيقة الخطر العقيم، وإلى تعبئة الغافلين وقهر دعاة الاستعمار وأنصاره فقال:

يا هؤلاء؟ إن الاستعمار شيطان وإن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا، وإن الاستعمار شر، ومحال أن يأتي الشر بالخير ومحال أن يجنى من الشوك العنب[2]... فيعرب عن تعرية كاملة صارخة لكيان الاستعمار وسياسته فهو بعده شيطانا يغوي أولياءه لكنه لهم، فقر الإبراهيمي هذه النتائج عن تجربته في هذه الأحداث.

ان ما ميز كتابات الإبراهيمي في هذا الجانب هو ذلك التكامل بين مواقف جهاده بالكلمة سواء كانت هذه المواقف تهتم بالتصحيح الاجتماعي أو تقاوم مساعي الاستعمار أو تسعى جاهدة إلى نيل الحرية، أو تدافع عن مبادئ الشخصية العربية الإسلامية فالملاحظ لهذه المواقف يجدها تتفق في نقطة الإصلاح، إذا لم يكتف بعرض قضايا وطنه فحسب، بل عالج بعض القضايا العربية من بينها القضية الفلسطينية التي شغلت فكره ومثلت في كتاباته حملا ثقيلا وكونت عنده العصب الحسّاس في بعده السياسي، غير أن هذه المسألة لم تكن حكرا عليه وحده بل أن الكثير من الكتاب والأدباء الجزائريين أولوا لها اهتماما بالغا في كتاباتهم، نذكر منهم على سبيل المثال: ابن باديس عمر راسم، محمد السعيد الزاهري...فقد كان إحساس هؤلاء مبكرا بالقضية كما كان مرجعية تبرهن على قوة الروابط بين شعوب الأمة العربية والإسلامية عامة وفلسطين على وجه الخصوص، ولكن قلّما عالج أديب عربي قضية

[1] محمد الطاهر فضلاء: أعلام الجزائر، الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى، مكتبة ومطبعة البعث، قسنطينة الجزائر (د. ط) (1967) ص 181 .

[2] انظر: جريدة البصائر، ع 4، س 1 1366 –1947 ص1. نقلا عن محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص 96.

فلسطين بكل صراحة وواقعية مثلما عالجها الإبراهيمي في سلسلة البصائر المختلفة و ذلك لإيمانه المطلق بأنها إحدى وقائع العصر الحديث التي لا ينبغي السكوت عنها لما تمثله من تحولات سلبية في تاريخ العرب والمسلمين ونتيجة لهذا تولّد عنده انفعال حاد جعله يحدد موقفه اتجاه القضية، فنجده يلج هذا الباب حاملا معاني السخط والانهيار والحسرة، فلم يتوقف قلمه ولا فكره لحظة واحدة منذ أن أصيبت وأصيب هو معها بجروح لم تضمد، وفي هذا المجال يقول: فلسطين إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحا دامية وفي جفن كل مسلم من محنتك عبرات هامية وعلى لسان كل مسلم جزائري في حقك كلمة مترددة هي فلسطين..[1]

2-3- البعد الفكري:

إن الشاعر أو الأديب أو الفنان ملزم بالضرورة بأن يغترف معاني مادته من مجتمعه الذي يحيا فيه لأن له صلة وثيقة به وبالظروف التي ينشأ فيها فهي التي توجه تفكيره ونموه وتطوره فينعكس على عمله الفني أو الأدبي، فقد انصهر أدب الإبراهيمي وكتاباته في تثبيت بعد فكري يعالج المسائل المتعلقة بالشخصية الجزائرية و تثبيت أصالتها وتحدد مقوماتها.

وقد تبلغ القضايا التي تطرحها كتابات الإبراهيمي حدّ الإيمان بها، لأنها تنبع من وجدانه الداخلي وتعبر عن وجود أمة. ولعلّ هذا هو المبدأ الذي جعل بعض الكتاب الجزائريين، يتساءل بقوله: .... إن أدباءنا لا يتفاعلون مع مجتمعهم بطريقة إيجابية، فيكتفون غالبا بالتعبير عن مسيرته من الخارج...[2] ويرى أن أعمالهم الأدبية تبدو وكأنها كتبت بيد أجنبية لا يهمهم من أمر المجتمع شيء، على عكس أدب الثورة وما قبلها الذي كان مجرى السليقة على الألسن وغرضنا من هذا التقديم هو الوقوف عند القضايا التي يمكن استخلاصها من كتابات الإبراهيمي في جانبها الفكري.

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي، فلسطين، جريدة البصائر، دار الغرب الاسلامي، الجزائر، عدد5، س1 (5 سبتمبر 1947)، ص1.

[2] انظر: محمد مصايف : (أدباؤنا والمسيرة الثورية) مجلة البصائر، الجزائر، ع13 من 3 - 1393-1973م، ص86، نقلا عن محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص113.

وتعتبر اللغة العربية من بين أهم القضايا التي شغلت فكر الإبراهيمي وهي حصيلة التفاعل مع نزعته العربية الإسلامية التي يستمد منها مادته الخام ويستقي شخصيته الأدبية والفكرية.

وفي هذا يقول كلمة صريحة مباشرة:" وقومي هم العرب أولا، والمسلمون ثانيا، فهم شغل خواطري وهم مجال سرائري وهو مالئو أرجاء نفسي، ومالكو أزمة تفكيري [1]... فالإبراهيمي هنا ضميره منفعل بنزعته العربية الإسلامية فيكشف عن معاناة أعباء حمل ثقيل يشغل تفكيره بحال قومه المتردية فتعتر به هموم وأحزان.

فاللغة العربية عنده تتلاحم مع الإسلام والعروبة تلاحما شديدا، وتأثر في اتجاهه تأثيرا صريحا وذلك لأنه يعدها مكونا رئيسا من مكونات الهوية الوطنية، فنجده يدعوا إليها في موضوعاته ويعالج واقعها في المجتمع الجزائري خاصة إبان الاستعمار الفرنسي الذي عمد إلى فرنسة الجزائر، لذا اتخذها الأدباء موضوعا لهم سواء في الشعر أو النثر الحديث، وظلت كتابات الإبراهيمي في هذا الموضوع أحسن من مثيلاتها، وكثيرا ما يربطها بعوامل دينية وقومية ووطنية بل يجعل منها واقعا حضاريا معاشا، يقول الإبراهيمي في دعوته للعربية:

اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة أو دخيلة بل هي في دارها وهي ممتدة الجذور من الماضي مشتتة الأواخي مع الحاضر طويلة الأفنان في المستقبل لأنها دخلت هذا الوطن من الآلام على ألسنة الفاتحين وتتساق في الأسنة واللهوات وتنساب بين الشفاه والأفواه...[2]

تتجلى لنا من خلال هذا النص أصالة اللغة العربية في الجزائر فينفي عنها أن تكون غريبة أو أجنبية دخيلة في هذا القطر العربي، فالإبراهيمي يدافع عنها و يرسي قوائمها من خلال التاريخ والأصالة ويثبت صلتها الوثيقة بالإسلام الذي تنهل منه وتتغذى من دستوره وتنقل معاينة إلى الأمم التي ينبغي أن تتفهم معاني الإسلام وفي هذا العمل يكون التقارب

[1] ينظر: محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص115.

[2] محمد البشير الإبراهيمي: مجلة الحج والعمرة ع6، 2004م، نقلا عن المرجع نفسه، ص 125.

الفكري بين الأمم بالرغم من الاختلاف القائم بين جنسياتها ويرى الإبراهيمي أن اللغة العربية هي وعاء الإسلام وحافظة قرآنه وتراثه".[1]

2-4- البعد الديني:

يتجلى في فكر الإبراهيمي أن البدء في الإصلاح الديني هو الأساس وهو فاتحة الأعمال للحركة الإصلاحية في الجزائر ولعل السبب في هذا يرجع إلى ما يراه الإبراهيمي من اعتراض ضرورة اقتضاها طغيان الفساد في العقائد حتى أصبح من آثاره اللازمة التزهيد في العلم".[2]

فهذه الحتمية هي التي طوعت الإبراهيمي أن يعلن في كتاباته أنه لو لم يحدث من الحوادث ما جعل اتجاه الجمعية إلى الإصلاح الديني أقوى لكان الإصلاح العلمي أول ما تعالجه وتبذل فيه جهودها لأنه ألصق باسمها و أكثر ارتباطا بجوفه رجالها ...[3]

وتمثلت أبعاده الدينية في تحرير العقول من الأوهام والضلالات في الدين والدنيا، وهو تحرير العقول أساس لتحرير الأبدان وبذلك التحرير أيقظت الجمعية في الأمة قوة التمييز بين الصالح من الرجال والصحيح من المبادئ وبين الطالح والزائف منها. [4]

ثم إن الإمام كان يعيش مأساة المسلمين بادراك عميق لحل مشاكلهم واعيا بواقعهم الذي يتخبطون فيه، فهو في ترفع دائم على الانخراط معهم في الهاوية فيستعصي عليه الصبر والسكوت فيعلنها صيحة ثورية مع الإيمان الصادق بالنقد اللاذع من أجل تحرير الفكر الإسلامي والانقلاب الاجتماعي والتقدم الحضاري كما يريده الإسلام.

يقول الإبراهيمي عن المسلمين وأفكر في قومي المسلمين فأجدهم قد ورثوا من الدين قشورا بلا لباب وألفاظ بلا معاني، ثم عمدوا إلى روحه فأزهقوها بالتعطيل إلى زواجره فأرهقوها بالتأويل وقد نسوا حاضرهم افتانا بماضيهم، فهو يكشف عن مرحلة الانحطاط

---

[1] ينظر: محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص 221.

[2] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي ج1، ص69.

[3] المصدر نفسه، ص69. 39 .

[4] محمد البشير الإبراهيمي: جمعية العلماء (أعمالها ومواقفها جريدة البصائر، 2، ط11 أوت 1947) ص 1.

والتخلف الذي كان رمزا للدفاع الحضاري وسلاحا وهاجا لسعادة الإنسان الحر وتتضح رؤيته في تأسيس القواعد الحضارية المعنوية للإسلام حينما ينبه للمستقبل، وما غرس محمد صلى الله عليه وسلم شجرة الإسلام ليأكل هو وأصحابه ثمارها ولكن زرع الأولون ليجني الآخرون.[1]

ونجد الإبراهيمي يستمد طاقته الفكرية من معايشته للمجتمعات الإسلامية سواء في علاقة الحكّام بالرعية أو في قضية الاستعمار فنجد فكره يدور في حلقة مفرغة تعاني فراغ الاطمئنان المثالي الذي يبحث عنه فلم يعثر له على أثر إلا في تعاليم الإسلام. مادام الحق ضائعا وصوته مكبوتا كما يقول الإبراهيمي في هذه المقتطفات الشعرية.

إن المنابر في الإسلام ما نصبت * إلا لترفع صوت الحق في الناس.**
فاختر لأعوادها لا من يلين له * في الحق عود ولا يصغي لخنّاس.**
ومن إذا ربع سرب الذين حقله * ولم يكن لعهود الله بالناسي.[2]**

وهذا ما طبع به أدب الإبراهيمي، فهو يمثل في كتاباته سلاحا قويا في الدفاع عن مقومات الشخصية الإسلامية سواء في رده على المستعمر أو في مقاومته لرجال الطرقية.

3- تجليات النزوع الإصلاحي عند الإبراهيمي في نثره:

3-1- الخطابة:

أدرك الإبراهيمي ما للخطابة من أهمية بالغة نظرا لتأثيراتها على عقول وقلوب الجماهير في استمالة مشاعرهم وعواطفهم وربما التغيير من سلوكياتهم فاتخذها منبرا لنشر الوعي، بل جعلها منزلة واحدة مع فن التمثيل فهي أساس بناء صرح الحضارات.

التمثيل والخطابة توأمان متلازمان ومنزلتهما من دواعي التهذيب والتربية الفاضلة وما بنيت نهضة من النهضات الأخلاقية إلا وللتمثيل والخطابة في بنائها القسط الأوفر والحظ الأولى[3].

---

[1] الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ج1(1971م) ص 547.

[2] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 485.

[3] المرجع السابق نفسه، ج1، ص 67.

فأثناء عقد المؤتمر الخامس لجمعية العلماء في شهر جمادى الثانية 1354هـ، قرر تخصيص يوما لإلقاء الخطب والقصائد ويختم المؤتمر بتلاوة خطبة فأكد على إقامة عكاظ سنوي تتدرب فيه ناشئتنا الإصلاحية على الكلام وتتمرن على الخطابة لتستعد بالدعوة والإرشاد وإن الخطابة لركن الإصلاح الركين .

يعتبر الإبراهيمي رائد الحركة الخطابية في الجزائر دون منازع، فقد كانت ضالته أينما حل وارتحل، كان يخطب في بعض المناسبات الرسمية وغير الرسمية فكان شديد العارضة، فصيحا لسنا ساعده ذلك محصول من اللغة الوفير وإلمام بالأمثال وبراعة في حسن إجرائها في مضاربها وقد اكتسب بها مكانة كبيرة هذا بشهادة أحد أصدقائه كأمثال: ابن دياب الذي كتب عنه حين حضر إحدى خطبه قائلا: قد أحببت أن أسبر غور السليقة العربية فيه وأبلغ عمق ملكة الفصاحة في لسانه، وغزارة المادة في تبيانه أن أسمع الرجل يقول فيطيل القول ثلاث ساعات كاملة فلا يعثر له لسان ولا يلتوي بيان ويعوزه على ما قال برهان فآمنت أن الرجل أخطب من سحبان. [1]

لذا فقد تعددت خطبه وتنوعت بتنوع تلك المهرجانات المختلفة التي كان خاطبا فيها، بناءا على هذا يمكن تحديد أنواعها على الشكل التالي:

أ- الخطابة الدينية:

أولى الإبراهيمي للخطبة الدينية اهتماما بالغا نظرا لتردي الوضع الديني في الجزائر، فكانت سلاحه الوهاج لتصحيح عقيدة الفرد الجزائري التي تعرضت للتشويه، وتخليص المجتمع من رواسب الخرافات والضلالات، وتحرير الناس من عبودية الاستعمار وقيوده وتضم كلاما دينيا تخاطب به العامة والخاصة من الناس في أمور دينهم من تذكير وترغيب وترهيب، وحث على الحلال وصدّ عن الحرام، وكان الاعتقاد السائد يتم إلقاؤها في الجمعية، غير أن الإبراهيمي تعدى تلك النظرة الضيقة ليصبح في مقدورها معالجة مختلف القضايا والموضوعات لكن بأسلوب ديني بحث كتلك التي ارتجلها في الحفل الذي أقامته كلية الشعب

[1] عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص 282.

بقسنطينة على شرف الإمام عبد الحميد بن باديس سنة 1936م بمناسبة ختمه القرآن الكريم تفسيرا، ولعل ما يميزها عامة ظاهرتي التعميم و الاستطراد: "إن أحدا من المسلمين لا يجهل يوم بدر ولا يجهل إن كان عاميا – أثره في ظهور التوحيد على الشرك لكن قليلا منهم من يعرف أن اسمه كذا و أن نسبته من الشهرة كذا وقد غربت شمس بدر مند مئات الآلاف من الأيام وجرّ عليه الفلك أذيال عشرات الآلاف من شركائه في الاسم ،فلم يعف له رسما ولم يطمس له أثرا، لم يمت الإسلام طويل العمر ما طال، واسع المعنى ما اتسع .[1]

ب- الخطابة الأدبية:

ويعالج هذا النوع من الخطابة قضايا الفكر والثقافة والأدب معا، وتحقق الناحية النفعية في اتساع آفاق المعرفة تتميز بأناقة أسلوبها جمال لغتها قوة بيانها، وكان لها هي الأخرى الحظ الأوفر عند الإبراهيمي للنهوض بالأدب وترقية مستواه اللغوي و الثقافي بدعوة الأمة للتفقه في لغتها والتسلّح بمختلف العلوم حتى يمكنها التصدي لرياح الحضارة الغربية. في هذا الإطار ألقى خطبة بعنوان: العربية وفضلها على العلم والمدينة وأثرها في الأمم غير العربية حيث دعا فيها على التمسك باللغة العربية والمحافظة عليها، يا أيها الأخوة الكرام اكلفني الأستاذ الرئيس أن أحاضر هذا المجمع العربي الحاشد بكلمات من ناحية زاخرة من نواحي لغته الجليلة، وجانب عامر من جوانبها الفسيحة، وهو فضلها على العلم و المدنية وأثرها في الأمم غير العربية...[2].

استهلها بلفظة "أيها" للفت الانتباه والتركيز على ما سيقوله، فألقاها نيابة عن الرئيس على الحشود الحاضرة، غلب عليها الجانب المتردي الذي يميل إلى التلقين والتعليم، إذا تساءلنا عن هذا فنجد حجة واحدة وهي أن الإبراهيمي لا يستطيع أحيانا التخلص منه كونه مدرسا ملقنا، لهذا كان السرد ينساب إلى خطبته باضطراب عفوي يميل إلى عرض الحقائق التاريخية والأدبية بغية الإفادة ولمهارته الأدبية وثقافته الواسعة المتغلغلة في العلوم الدينية

[1] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص361.

[2] المرجع السابق نفسه، ص 10.

والفكرية والأدبية، هذا ما جعله خطيبا بارعا في شتى المجالات فهي الثقافة الواسعة نفسها عميقة جذورها راسخة وفروعها في السماء، فهو علامة تحد وأية إعجاز.

ج- الخطابة السياسية:

إن الخطابة السياسية قليلة جدا في أدب الإبراهيمي بحكم أنّه مصلح وأديب، أكثر منه سياسي، يتوفر فيها معالم الجمع بين رزانة الأفكار، وبساطة الأسلوب وجمال الأداء. فقد تبرأ من أن يوصف بالسياسي مبرزا أن جمعية العلماء دينية وليست جمعية سياسية غير أنه أدلى بعكس ذلك في موضوع آخر: ولكن علماء وسياسيين، ولنكن كل شيء يحمي ديننا ولغتنا ما دامت لا تجد صاحبك إلا حيث تكره فمن العدل ألا يجدك ويحمي أمتنا صاحبك حيث يكره"[1].

لكن رغم اعترافه بهذا إلا أن حنكته السياسية جعلته يلقي أروع الخطب في الحفل السياسي فاضحا سياسية الاستعمار في هضم حقوق الشعب وتمثيل دولته في الأمم المتحدة، أين ألقى خطابا في حفل أقامته جمعية العلماء على شرف المشاركين في المؤتمر بنزل العالمين "ديموند: حقيقة ما ترى عيناي أم خيال؟ إخوة طوحت بهم الأقدار وفرقتهم صروف الدهر في الأقطار حتى ما يتلقى رائح منهم بمبتكرة، ثم يجتمعون في هذه الليلة على غرة وعلى غير ميعاد كما تجتمع أشتات الرمز في أباءها وفي مكانها تختلف منها الألوان والأشكال ويجمعها الشذا والطيب والجمال[2].

3-2- المقالة:

تمثل النزعة النقدية في مقالات الإبراهيمي الحافز القوي والمحرك الأول لكتاباته، وقد يصعب على الدارس الحصول على مقالة تخلو من النقد والانتقاد، سواء أكانت هذه المقالة تتناول قضايا سياسية أم اجتماعية أم دينية أم أدبية وعلى الرغم من هيمنة الروح النقدية في

[1] عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (د ط)(1993م)، ص 214.

[2] المرجع السابق نفسه، ص215.

مختلف مقالاته إلا أنه يخصص مقالات نقدية مستقلة، فقسم منها يتناول النقد الأدبي وقسم يتناول نقد الشخصيات إما بالمدح و إما بالقدح.

وقد أخذت المقالة حصة الأسد في أدب الإبراهيمي، وغطت مساحة كبيرة في حقل الأدب الجزائري الحديث بفكره وكتاباته، وشخصية الإبراهيمي لا تظهر كاملة الوضوح بنزعاتها ومواقفها، وبتحركاتها و سكناتها إلا في أدبه المقالي، فذاتية الإبراهيمي تهيمن على الفكرة المطروقة وتصيغ الموضوع بحرارة وجدانه وحماسة لهجته. وتشمل العديد من الأنواع:

أ- المقالة السياسية

تأخذ المقالة السياسية مكانها المرموق في الأدب العربي الحديث وتكتسب شهرة عالية، وقد عالج مختلف القضايا التي تهتم الشعب الجزائري في أكثر الأحيان، وهم يعانون من جسامة العذاب الاستعماري و تنكيله بفئات الشعب ومثلته جمعية العلماء المسلمين، ولعل ما نستدل به في مقاله فصل الدين عن الدولة، يقول: "الححنا بالمطالبة بتحرير المساجد والأوقاف وسقنا على ذلك من الحجج ما لا يدحض وكشفنا عن الدستور من مقاصد الحكومة، وقلنا لها (بالقلم واللسان) أن سكوت من قبلنا لا يكون حجة علينا و أن تخاذل من معنا لا يكون مسوغا لبقاء هذا الوضع الجائر واستمراره بل قلنا لها: أنها هي السبب الوحيد، لهذا التخاذل، وهي التي صبرت طوائف منا مبطلة تخذل الحق أهل الحق وأن بقاء الوظائف الدينية في يدها هو أصل هذا البلاء الذي ينزع حبل الدين من تلك اليد ويوضع في أيدي أهله.[1]

كما سلط الأضواء على قضايا العالم الإسلامي لاسيما القضية الفلسطينية حيث كتب على أثر تقسيمها قائلا: "أيها العرب أقسمت فلسطين فقامت قيامتكم هدرت شقائق الخطباء وسارت أقلام الكتاب أرسلها الشعراء صيحات مثيرة تحرك رواكد النفوس، وانعقدت المؤتمرات وأقيمت المظاهرات.[2]

[1] عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ص 335.

[2] ينظر: محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص 160.

وتبدوا مقالاته أساسا من أسس مظاهر الإخاء العربي الإسلامي ذلك لما تحمله من معاني المواساة وروح الانتماء إلى فلسطين ناعيا الظلم داعيا إلى الاتحاد والتعاون للوقوف في وجه الاستعمار الغادر، فلا وجود في رأيه – لفلسطين أو الجزائر بل هناك وطن عربي واحد هو الوطن العربي المسلم مستعينا في إيصال أفكاره بتحميلها بشتى ألوان البيان والبديع، وهي أساليب بلاغية ساعدته على تقريب المعاني إلى الأذهان وتعدد الأساليب من أرقى ما تسمو به مقالاته المختلفة، والملاحظ على المقال السياسي احتواؤه على عدة مضامين فكرية متمثلة في هجومه الصريح و المباشر على المستعمر.

ب- المقالة الاجتماعية:

وهي تلك التي تعالج قضايا ومشكلات المجتمع انطلاقا من موضوعات مستمدة من روح الواقع، وهذا ما بنى عليه الإبراهيمي منهجه الإصلاحي، إذ كان يرى أن الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي أولا، فكليهما يكمل الآخر وقد كانت المجلات وفية من هذا الجانب حيث حملت بين طياتها الكثير من المقالات التي حاربت الانحلال الخلقي، وحاولت أن تبني معالم الشخصية الجزائرية بناءا سليما، وهذا ما نجده عند الإبراهيمي وهو يدرس المعضلات التي يتخبط فيها المجتمع الجزائري محاولا استئصالها جذريًا بالقضاء عليها وهذا من خلال مقالاته الوهاجة أخذت بيد الشعب الذي هو بحاجة ماسة لمثل هذه المساعدات التنويرية، من أهمها مقال حول الشباب والزواج بين أهمية الزواج في بناء الأمم وتقوية نسلها[1] وقد جاءت مقالاته مزيجا بين الجانب الاجتماعي و السياسي والديني يتخذها كدعامة أساسية لبث أفكاره وآرائه الإصلاحية حول مختلف القضايا انطلاقا من الإسلام والعروبة وهما محور دعوته.

كما تطرق إلى مواضيع أخرى تحدث فيها عن الطلاق وما ينجم عنه من مساوئ و شتات على اختلاف أبعادها كل ذلك بأسلوب علمي موضحا فيه مدى انعكاس هذه

[1] ينظر: محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص167.

المعضلات على المجتمع بطريقة تحليلية تنقيبية مع عرض الدليل اللازم للتغيير ونأخذ بعض العناوين لبعض المقالات الصدق وهل له حل؟ "،" أعراس الشيطان .... الخ.

تمكن الإبراهيمي من الغوص في المجتمع الجزائري ومشاكله المختلفة العديدة وهذا بفضل عبقريته الفذة فقد كان شجاعا في قول الحق والوقوف في وجه الاستعمار مندّدا بالأخطاء رافضا للمصالحات الزائفة. فكل كتاباته تصرح وتتأسف على الذين باعوا ضمائرهم مقابل لقاء ثمن رخيص.

ج – المقالة الأدبية:

تبرز فيها ذاتية الكاتب إذ تتميز بجمالية الأسلوب وسلاسة اللغة، وقوتها وانسجام موسيقى الألفاظ مع المعاني والصور، فتأتي عفوية بعيدة عن التكلف والصنعة المكرهة التي تمجها الأنفس.

يعتبر هذا اللون الأدبي من المقالات الأكثر بروزا في أدبه، كما قد اشتهر بها كتاب الحركة الإصلاحية، التي يبرز فيها الإبراهيمي أديبا بالمفهوم الحقيقي والدقيق ويشد الانتباه هما: "مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة وتحية غائب كالأيب" التي نشرت في العدد تسع وعشرون ومائتان 229 في سلسلة البصائر والتي يقول فيها: "حي الجزائر عني ياصبا... واحمل إليها مني سلاما تباري لطافته لطافتك، وتساوي لطافته لطافتك، فقديما حمك الكرام الأوفياء مثل هذه التحية إلى من يكرم عليهم أو ما يكرم عليهم، فحملتها زوجا واديتها بوحا واعتنتها شذى وفوحا، وكنت بريد الأزواج إلى الأرواح، بألفاظ غير مكتوبة ومعان غير مكذوبة، وقديما أفضى إليك الشعراء بشجونهم .[1]

د– المقالة الدينية:

لما كان شعار جمعية العلماء ملخصا في الإسلام ديننا والعربية لغتنا، فإننا نجد مقالاته ذات صبغة دينية إصلاحية، يقول الإبراهيمي: "إن المقالات الدينية التي كان

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص181.

المصلحون يكتبونها كانت مشبعة بالنزعة الإصلاحية المتحررة الداعية إلى ربط الأعمال بالأقوال، وتطبيق المبادئ الدينية في مجالات الحياة[1].

ذلك لارتباط قضية الذين مباشرة بمسألة النهوض بالوطن وتخليصه من قذارة التخلف والتحرر من الاستعمار ، فقد عالج الإبراهيمي عدة موضوعات دينية ذات طابع إصلاحي هادفة كلّها إلى توعية الضمير والعقل، كما دعا فيها إلى إتباع الطريق الصحيح إلى الدين عقيدة وعملا، لأنه الحل الوحيد لكل مشكلات الأمة الإسلامية، ومن ثم كانت ثورته على رجال الدين في الجزائر لتطهير الذين من بؤرة فساد رجاله ، فالطرقية نوع من أنواع الاستعمار الثقافي والفكري إذ يقول:

"لعمرك إن الطرقية في صميم حقيقتها احتكار واستغلال للمواهب والقوى واستعمار بمعناه العصري الواسع، واستبعاد بأفظع صوره ومظاهره".

ومن آثار الطرقية هي قضية القباب والمرابطين وهي جد خطيرة وهذا لأنها تشويه ومساس بالدين والعقيدة كما يضيف قائلا: يجري كل هذا والأشياخ يقدس ميتهم وتشاد عليه القباب وتساق النذور ويتمرغ بأعنابه ويكتحل بترابه، ونلتمس منه الحاجات وتفيض عند قبره التوسلات والتضرعات، ويكون قبره بعد الممات كما كان شخصه فتنه في الحياة[2].

[1] عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص154.

[2] أحمد طالب الإبراهيمي: المصدر السابق، ج1، ص 172.

الفصل الثاني

أهم القضايا الإصلاحية للبشير الإبراهيمي

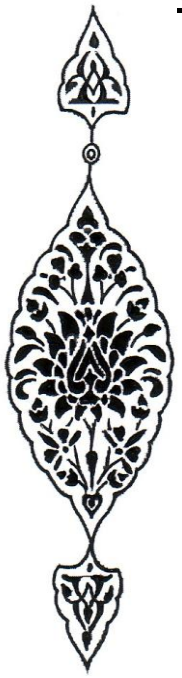

أولا: الدراسة الفنية

ثانيا: الأسلوب

ثالثا: اللغة

رابعا: التصوير

أولا: الدراسة الفنية.

ان الإنجاز الاجتماعي الذي عرف به البشير الإبراهيمي هو إلقاؤه لخطبة ألا وهي خطبة "**الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي**" وهي حقيقة سامية يشهد له بها الشعب الجزائري ومن خلال الخطبة تبين عبقرية التفكير والانجاز عند المصلحين الجزائريين.

وهذه الخطبة تعبر عن اهتمام وانشغال البشير الإبراهيمي بالمشكلات الاجتماعية التي طالما عايشها وعالجها وحرص على تمتين أواصر المودة والقربي بين الجزائريين والدليل على أن الإسلام دين واجتماع أي أنّه يتعامل مع الجماعة وأنه لا معنى أن تتكلم فئة من الناس الفقه والدين والمتون العلمية ولا يبالون بما حولهم ولا يحاولون تشكيل جماعات والتعامل مع بعضهم، وقد كانت رسالة البشير الإبراهيمي من خلال خطبته في المغرب العربي هدفها تأليف جماعات والربط بينهم، وقد تحقق أن اجتمعت إليه فئات مختلفة من الشعب فتآلفوا وتعارفوا وتآخوا، قال تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها)[1] ولتحقيق ذلك كان يحرص على تفسير القرآن الكريم وهذا بتوعية الشعب على تعاليم الدين وقواعده وهذا بدار الحديث تلمسان كان يربط المعاني القرآنية بالمعاني الاجتماعية تحفيزا وتشجيعا للمسلمين، كان يربط المعاني القرآنية بالمعاني الاجتماعية تحفيزا وتشجيعا للمسلمين أن ينتقلوا من ضيق الاستعمار إلى فرج ووساعة الإسلام الذي يريده لهم وتريده لهم الجمعية وهذا من خلال الإرشاد ومحاربة الفساد والاستبداد وهذا راجع إلى أصل جامع وغاية شريفة وهي تحقيق أواصر الأخوة بين المسلمين وربطهم بدواعي الاجتماع فيستقيموا على طرقة مثلى من: التعاون والتآزر والكسب والفقه بالواجبات والحرص على الحقوق وأدائها والتمسك بها.

[1] سورة آل عمران: الآية 103.

وجاء في هذا الصدد الآية القرآنية (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب).[1]

وقال تعالى في آياته المحكمات (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[2].

فالآية توحي إلى أن المخاطبين بما يفضلون على سائر الأمم، وإنما نالوا هذه الأفضلية بميزة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله وهذا في سبيل صلاح الأمة وإبعادها عما تخل بالإسلام.

افتتح خطبته بقوله: "أيها الإخوان"، وقد خاطب الجمعية ونادى بالنضال والجهاد والتضحية من أجل الوطن وهذا من خلال الإصلاحيات والأعمال التي يقومون بها من أجل نجاح الجمعية واتساعها وتحقيق غاياتها فقد ساهمت في انتقالها من الفوضى والاضطرابات إلى التنظيم والعمل النقيق وهذا في تنفيذها بتعليم الناس وإرشادهم وتصحيح أمور دينهم واستنهاض همم العلماء وهذا للدفاع عن الجزائر وعن مقوماتها والتصدي لإفشال سياسة الاستعمار وإصلاح الأوضاع الثقافية والاجتماعية والسياسية، والسعي إلى تحقيق يقظة فكرية، وبعث شعور قومي، ووعي سياسي وديني، يدفع الحركة الإصلاحية إلى الأمام، ويفضل الجمعية خابت مؤتمرات أعداء المصلحين، ورد الله كيدهم في نحورهم، وقد تأسس المجلس الثاني من رجال جمعت بينهم الرغبة الصادقة في الإصلاح والتعاون على البر والتقوى، فلم يدخروا جهدا في سبيل تحقيق غايتهم النبيلة وسادت بينهم مبادئ الأخوة الصادقة فحقق الله على أيديهم خيرا كبيرا للعباد والبلاد.

وفي قوله: "إن أيها الإخوان أحاول في موقفي هذا أن أقصى عليكم طائفة من الآثار المشهودة والغايات المحمودة التي وصلت إليها جمعيتكم في بضع سنين، وأحاول أن أشرح لكم النواحي التي لقيت فيها النجاح، والميادين التي صادقت فيها الفوز)[3].

---

[1] سورة المائدة: الآية 2.

[2] سورة آل عمران، الآية 110.

[3] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 282.

فهو من خلال قوله هذا يركز على النتائج والأهداف التي وصلت إليه الجمعية في بضع سنين فقد استطاعت التحدي ونشر الفكر الإصلاحي في المجتمع الجزائري بنشر الجرائد والمجلات وكان الهدف من نشرحها الإصلاح وبث الوعي في نفوس الناس، خطتها إصلاحية ووطنية مقاومة للفساد الاجتماعي والإداري مثل: جريدة المغرب العربي" وجريدة الحق الوهراني والبلاغ الجزائري " وجريدة "الوفاق" التي كانت تخدم العروبة والإسلام وكذلك جرائد أخرى مثل: "المنتقد" و"الإصلاح" و"الشهاب" و"البصائر". وقد طرأ تطور فكري على عقول الناس.

وكانت الجمعية غايتها الأساسية الإصلاح الديني وذلك في معالجته للقضايا الاجتماعية وهذا في سبيل إصلاح اجتماعي يحقق للأمة غايتها في الصلاح وذلك في قوله: أيها الإخوان من الغلط أن يقال إن جمعية العلماء جمعية دينية يجب أن ينحصر عملها في الإصلاح الديني بمعناه الذي عرفه الناس ومن فروع هذا الغلط ما رماه به بعض مرضى العقول وصرعى الجهل من أنها خرجت عن مدارها حين زجت نفسها في بعض شؤون الحياة غير الدين"[1].

ومن خلال هذا فإن الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي" فإذا صلح المجتمع صلح الدين كله ولهذا عملت الجمعية مند تكوينها على الإصلاحيين المتلازمين كما في قوله فإنه يبث بهذا في براعة وإحكام ارتباط الدين بالحياة الاجتماعية وشمول الإسلام ما يتعلق بحياة الإنسان.

وتبعا لقوله " **ويرى لنفسه من العزة والقوة ما يرونه لأنفسهم وترتبط بينه وبينهم رابطة الأخوة والمساواة والمصلحة لا رابطة السيادة عليه والاستئثار دونه**".[2]

فالإنسان أخ الإنسان وهو الدستور الذي ينظمها، تربط بينهم أواصر الأخوة والوحدة والمصالحة وبهذا تتحقق المودة بين الأفراد والجماعات.

---

[1] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ص 282 283.

[2] المصدر السابق نفسه: ص 283.

وقد قال في خطبته: "**إن طبيعة الأولين لا تبدل إلا بعد تبدل طبيعة الآخرين وإن الحقوق التي أخذت اغتصابا لا تسترجع إلا غلابا**"[1]. أي أن الذي يؤخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة وأن أي شيء لا يأتي هكذا سدى دون عناء بل يأتي بالتعب والشقاء والقوة، وقد اقتبس قوله هذا من قول الشاعر أحمد شوقي:

و ما نيل المطالب بالتمني ... ولكن تؤخذ الدنيا غلابا.[2]

أي أن الإنسان لا يتمنى شيئا ويبقى مكتوف اليدين بل أي شيء في الدنيا لا يأتي بالتمني وإنما يأتي غلابا وبالاجتهاد والمثابرة وبأخذ الأسباب وتجاوز المعيقات والإرادة القوية للوصول إليه.

فالإصلاح بالنسبة للجمعية أن تكون مسلما وتتبع الإسلام وقواعده وتتبع ما جاء في القرآن الكريم من تعاليم وفروض وواجبات وبهذا نجحت الجمعية في إصلاح عقيدة الشعب الجزائري وتطهير نفوسهم وتعميق هويتهم من أجل النزوع نحو الفضائل. وواصل البشير الإبراهيمي يلقي خطبته في تفاعل حتى وصل إلى قوله: "**أصبح المنتسبون إلى الإصلاح ولو من العامة يخلصون الله في عبادتهم وإيمانهم ونذورهم وأدعيتهم، ونبذوا كل ما كانوا عليه من عقد فاسد أو قول مفترى أو عمل مبتدع في هذه الأبواب كلها، وأصبحوا يفرقون بين السنة والبدعة والمشروع وغير المشروع ويعتقدون أن الإنسان مجزي بعمله رهن بكسبه**"[3].

فهل الإصلاح بمعنى الانتساب إليه أم العمل من أجله؟ فإن الإصلاح هو الانتساب للجمعية والعمل من أجل التأثير في عقول أفراد المجتمع وتحفيزهم على العمل ،صوبه، وهذا من خلال نشر شروط بوادر الإصلاح وإلقاء الدروس والمحاضرات كما قال الإبراهيمي في خطبته.

---

[1] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص283 ديوان أحمد شوقي: دار صادر، بيروت، 4، (د ت)(د ط) من 60 .

[2] ديوان احمد شوقي، دار صادر، بيروت، ج1، د. ت، د ط، ص60.

[3] أحمد طالب الإبراهيمي: المصدر السابق نفسه، ص 284.

هل الإصلاح عبارة عن خطب رنانة فقط أم مشروع تربوي؟

يعتبر الإصلاح مشروع تربوي – أيضا– وليس مجرد خطب رنانة يلقيها الخطباء على المستمعين دون التأثير فيهم بل إبعادهم عن كل عقد فاسد أو قول مفترى أو عمل مبتدع وهذا ما سعى وراءه المصلحين وما اتبعه المنتسبون للإصلاح فأصبحوا يفرقون بين الصالح والطالح من الأعمال وكل مشروع وغير مشروع.

ولقد استطاعت الجمعية مواصلة نجاحاتها في الإصلاح وهذا من خلال القرآن الكريم بتمسكها بكتاب الله وما جاء فيه ومما جاء في هذا الصدد ما يلي: **نجحت الجمعية أيضا في لفات الأمة إلى القرآن وفي جمعها عليه وحملها على التدبر في معانيه، لتأخذ منه كل نفس على قدر استعدادها وتستنير من عبره وزواجره ما يسوقها إلى الخير ويزعمها عن الشر حتى يكون المؤمن مسوقا بالقرآن مدبرا به**".[1]

فالإصلاح الديني مصدره القرآن فالإصلاح قام بتصحيح العقيدة وتربية المجتمع على التمسك بأصول الإسلام وبكتاب الله وسنة نبيه، وقد أثر القرآن الكريم في العقول والنفوس والقلوب ومنع من كل ما يهدف إلى الفساد، فهو سبيل الهداية والأمن والاستقرار والسمو عن الرذائل في قوله تعالى: **(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا)**[2] **(الإسراء 9)**.

كما نجد أن الجمعية نجحت في نشر سير عظماء الإسلام، يقول البشير الإبراهيمي في ذلك: " **نجحت الجمعية كذلك في نشر سير عظماء الإسلام اللذين قاموا بحمله، واللذين قاموا بنشره، والذين قاموا بتمثيل هدية وتطبيق قواعده وأصوله في النفوس بالتزكية والتهذيب، وفي العقول بالتنويه والتأديب، وفي الأمم بالتعليم والرفق والتسوية، وفي الأرض بالتعمير والأمان وفي الحكم بالعدل والإحسان، وفي الملك بالعزة والقوة**"[3].

[1] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص284.

[2] السورة الإسراء، الآية 9.

[3] أحمد طالب الإبراهيمي: المصدر السابق نفسه، ص 285.

إن عظماء الإسلام ضحوا بأنفسهم من أجل إصلاح الأمم بتزكية والتهذيب وتنويه العقول وتعليمها وزرع الأمن والأمان والعدل والإحسان... إلخ.

وعلينا الاقتداء بهم وإتباعهم لأنهم معالم طريق هداية وإصلاح وذلك في غرار قوله: **وإن سيرة الواحد من هؤلاء لهي الإسلام كاملا مجسما وإن مثال هؤلاء الرجال هم الذين علينا أن نجلو سيرتهم على الناس ونتلو أخبارهم وتنقصاها ونحمل أنفسنا على الاقتداء بهم وتأثر خطاهم في كل شيء والنفوس تؤخذ بالجبلة والطبع، وان أمثال هؤلاء هم عماد التاريخ الإسلامي الذين تبذل الجمعية جهدا غير قليل في إحيائه بهذا الوطن..."**[1]

وهذا لأنهم كانوا السبب في رجوع الأمم على ما كانت عليه سابقا وتخطي محنتها من الضلالات والخراب إلى النور والعمار لهذا يجب ذكرهم على كل لسان في تاريخنا الإسلامي لأنهم له وهذا ما كرست الجمعية مجهوداتها من أجله وعلينا التأسي بهم لأنهم:

. معالم طريق هداية وإصلاح.

. لأنهم نيران الحق واليقين.

. لأنهم كانوا السبب الوجيه في عدول الأمة على ما كانت عليه من ضلال وجهل وخرافات إلى طريق هداية وإصلاح وإن من العجيب والغريب أن الأمم الإسلامية منها من مازال يذكر تلك الأسماء التي نالت حظا من الشهرة وتقديسها رغم أنها غير معنية بالإصلاح وفي ذلك من خلال قوله: **ومن العجيب إن الأمم الإسلامية – وهي أغنى الأمم في باب الأسماء العظيمة كانت وماتزال الكثرة منها تختفي بأسماء نالت في جنون من الدهر وعريده من التاريخ واضطراب في العقل حظا من الشهرة بما لا يشرف قدرا ولا يعلى منزلة ولا يثير ذكرى حية، وأفاضوا على هذه الأسماء صيغة من التقديس وجعلوها معاقد لإيمانهم وإعلاما لولادتهم."**[2]

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 285.

[2] المصدر السابق نفسه، ص 285.

ولقد نجحت الجمعية أيضا ولم تنس مسألة هوية اللغة العربية وقال البشير الإبراهيمي في هذا السياق من خلال خطبته: **ونجحت الجمعية -أيها الإخوان- في إلغاء الأنظار إلى شيء لم يكن بيننا منسيا، إن كان مجوفا وهو هذا اللسان العربي الشريف الذي هو قطعة من كياننا التاريخي وشرط أساسي لوجودنا القومي وشهادة قاطعة بصحة نسبنا الديني ونسبنا الجنسي**[1].

فالجمعية هنا اعتبرت اللغة العربية هي جزء لا يتجزأ منا يجب المحافظة عليها وتحصينها فقد ربطت الجمعية اللسان العربي بالكيان والهوية لأن الكيان التاريخي للشعب الجزائري وهويته لها صلة وثيقة باللسان العربي فقد حافظت ولم تنس الجمعية اللغة العربية فلم تترك مجالا للمساس بها وبأصالة الشعب الجزائري وجنسه العربي ولغته الشريفة لغة القرآن الكريم.

وقد صرح البشير الإبراهيمي على مشكلة الانتساب وعلاقاتها بالعرب والتاريخ وهذا في قوله: **وإن من العار الفاضح أن يفخر الواحد منا بانتسابه إلى العرب، وقد أشرفت هذه اللغة الشريفة على الاضمحلال بهذه الديار لولا أن تذاكرها جمعية العلماء وأخذت بيدها وانتشلتها من الحضيض الذي وصلت إليه.**[2]

فالعربي الحقيقي هو الذي يكون عارف بلغته كي يكون انتسابه للعرب والعروبة الحقيقية ويكون عارف بتاريخه، وقال أن اللغة الشريفة لولا الجمعية لانتشلتها بد الاحتلال إلى الحضيض وهذا الاشتداد شراسته ومبالغته في محاربة وتسوية وطمس اللغة العربية ومحاربة الدين الإسلامي والتمكين للتخلف الذهني والشعبذة لدى الناس.

ولقد استطاعت الجمعية أن تصل إلى هدفها المنشود ألا وهو إصلاح عقيدة الشعب وتنقيتها من الخرافات والشعوذة والدجل والبدع وتطهيرها من مظاهر التخاذل والتواكل

[1] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 285- 286.

[2] المصدر السابق نفسه: ص286.

والخوف إلا من الله عز وجل والكفاءة من التنمية وتعليم العزة الإسلامية وكرامة النفس. ويبين ذلك من خلال قوله: **وبأنّها نجحت في دعايتها إلى العلم النافع الصحيح وفي دعايتها إلى العلم النافع الصحيح وفي دعايتها إلى الإسلامية الحقيقية وبأنها انتصرت في حملتها على الخرافات والأوهام والدجل وانتصرت أو كادت في حربها للجمود والعوائد الضارة والتقاليد السخيفة وبأنها أفلحت في تربية الأمة على عدم الخوف إلا من الله والرهبة إلا منه... وفي تحبيب الدين وشعائر الدين إلى طوائف من الشباب المهمل وإشرابهم معنى العزة الإسلامية وكرامة النفس"**[1].

وإذا عدنا إلى النزوع الأخلاقي فالبشير الإبراهيمي يقول في هذا الصدد: "**وإذا رجعنا إلى الأخلاق، أيها الإخوان، وجدنا نجاح الجمعية ظاهرا في جمهرة من الأخلاق الفاضلة غرستها في نفوس الأمة الجزائرية، فجمعية العلماء هي التي علمت الأمة خلق التضحية في الصالح العام وخلق الصبر عليه ومطاولته وخلق القصد في الاعتقاد والتفكير خلق الاعتماد على النفس، وخلق الصراحة في القول والجرأة في الرأي والكلام إلى ما يتصل بهذه الأخلاق من فروع ولوازم**".[2]

فقد قامت الجمعية بترقية الشعب من وهنة الجهل والسقوط الأخلاقي إلى أوج العلم ومكارم الأخلاق في نطاق دينها الحق وبهداية نبينها الأمي ليتم مكارم الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق صلاة الله عليه وآله وصحبه أجمعين، وعلمت الجمعية الأمة الجزائرية الصبر إلى غير ذلك من الأخلاق التي غرستها الجمعية في نفوس شعبها.

وقال البشير الإبراهيمي من خلال خطبته كلاما فقال: "**أيها الإخوان: إن أغرب ما يؤثر عن جمعيتكم بل هو أول ما نجحت فيه هو إثبات وجودها في وقت كانت تتناثر فيه الجمعيات كحب الحصيد، وتتهاوى المشاريع كأوراق الخريف، والاحتفاظ بتوازنها في طريق غاص بالعواثير، وتسييرها لسفينة الحق في بحر مضطرب الأمواج وثباتها في وجه الباطل**

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 286.

[2] المصدر السابق نفسه، ص286.

في وقت تكالب فيه الأعداء وتخاذل الأولياء، فهنا العبرة البالغة للمعتبرين وهنا الموضوع الخصيب للباحثين المستنتجين."[1]

عبر هنا عن مدى نجاح الجمعية رغم المضايقات الشديدة من طرف الاحتلال وتحقيق النجاح الكبير في تصحيح عقائد الجزائريين وتطهيرها من شوائب الشرك والرجوع بهم إلى منابع الإسلام الأصلية، وكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم- يستنيرون بها في دينهم ودنياهم، مقدمة لهم العلم النافع، فالتف حولها الشعب وآزرها وأيدها في وقت كانت تتناثر فيه الجمعيات كحب الحصيد كما قال رجل العلم الذي ساهم في هذه الجمعية المباركة.

أما في ختام خطبته فقد أوجز فيها جلّ كلامه وقد كان منتقدا لذاته ولآثار الجمعية في عرض خطبته وهذا في قوله: **أيها الإخوان هذه لمحات مقتضيه غير مرتبة ولا متناسقة من آثار جمعيتكم قصصناها عليكم إدلالا بالعمل، فهو في ذاته قليل، ولا افتخارا بالنتائج فوراءها ما هو أكمل منها وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا"**[2].

فهو هنا غير مقتنع بما قاله في أثار الجمعية ويرجو أن تبلغ الكمال وتصل إلا عظائم الأعمال.

وإن البشير الإبراهيمي في ختامه لخطبته تحدث عن الإقدام والاتحاد وهذا في قوله: **"وقد فزعت بالأمس فهببتم هبة رجل واحد كلكم يذود وكلكم يحمي، وإن لهبتكم تلك المعنى عرفه أعداء الجمعية فأطرقوا."**[3]

فمن وراء كلامه يعبر عن رجالات الجمعية فكانوا رجلا واحدا متحدين عازمين للوصول إلى المبتغى المرجو مع الأجيال.

---

[1] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ص 286.

[2] المصدر السابق نفسه، ص287.

[3] المصدر السابق نفسه: ص ن.

وقد تحدث عن مسألة الامتداد والتواصل في قوله: "**فهل أنبئكم أن تلك الهيئات هي الامتداد التي تمتد الجمعية بالحياة والبقاء والبركة والنماء**".[1]

فبالتواصل فيما بينهم يمد الجمعية في عمرها وبقائها ويزيدها بركة ونماء، فالخطبة إصلاحية ذات تفكير موضوعي منهجي واضح وتحليل منطقي مقنع وعنيف في مواجهة الخصم، لكن فيها من الحكمة في الإبلاغ والوعظ والنصيحة وهذا ما أدى بها إلى نجاحها والوصول إلى قلوب وعقول ونفوس الشعب الجزائري وإخراجه من الظلام الذي كان فيه.

ثانيا: الأسلوب.

لقد تميز أدب البشير الإبراهيمي بالثراء الفنّي والتنوع في الموضوعات والقضايا المختلفة إضافة إلى أصالة الجذور فهو الذي حفظ المتون وهضم التراث والقرآن الكريم، فانطبع أسلوبه بالطابع الإسلامي البحث، وعصرنته للمضامين من قلب المجتمع الجزائري ومهارته في سبك الأساليب ورصانتها.

إن الباحث في أدبه تستوقفه العديد من المحطات الخصبة سواء على مستوى اللغة أو على مستوى الأسلوب أو على مستوى التصوير، والذي يقرأ للبشير الإبراهيمي يجد نفسه أمام أسلوب كأنه أسلوب فحول البيان العربي في أزهى عصوره، مع كثير من التميز والأصالة والإبداع.

أسلوب يتميز بالخفة والأناقة والقوة والرصانة، فيه جزالة الألفاظ وقوتها، وتناسق العبارات وتجانسها وتألفها، وكرم المعاني، وعلوها وتألقها، وأصالة اللغة وفصاحتها وفخامتها.

وذلك على غرار قوله في خطبته الإصلاح الديني لا يتم بالإصلاح الاجتماعي": **ولقيت من العوارض والعوائق ما ذللته العزائم ومهدته الهمم... لرأيتم معنى عاليا من معاني الحفاظ الكمينة في هذه الأمة الفقيرة إلا من الشرف والعزلاء إلا من العزائم ولكن**

[1] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 287.

الله سلم وألهم الرشد فأريناهم كيف يكون الصبر في الشدائد وكيف يكون التنبيه للمكائد، وأذقناهم مرارة الخيبة وغصص اليأس وكنا نحن الفائزين"[1].

ومن مظاهر أسلوب البشير الإبراهيمي، كذلك التأنق والتفين ومثال ذلك قوله: "**أما وقد تم كل ذلك فقد وجب أن نقف على رأس هذه الأعوام الخمسة ونستعرض الأعمال التي تمت فيها على يد الجمعية استعراض المعبر بماضيه وحاله الموازن بين أعماله وآماله، المستبصر في مبادئه ومصائره المغتبط بما قدم من صلح، وإن قل، المستشرف للعظائم وإن هالت وجلت.**

نقف لا لنعد الأيام والشهور، ولكن لنعد الأعمال ونزن الأعمال بآثارها وترى إلى أي حد في النجاح وصلنا، وعلى أية درجة في الإصلاح حصلنا"[2].

فنحن نلاحظ في هذه القطعة مقدار حرص الإبراهيمي على التأنق في الشكل والتفنّن في الصباغة، بالتزامه ما لا يلزم من الإيقاع، ولكننا لا نرى في المعاني وفخامة ورصانة في الأسلوب.

ونلاحظ أثر الجهد باديا في هذا الأسلوب، فتارة محاولة اصطناع السجع، هذا يؤكد خصوبة ملكته اللغوية وتبحره في أغوار اللغة العربية، بل وقدرته العجيبة على توليد المعاني والألفاظ وجعلها منسجمة تسير على وتيرة واحدة، وتارة أخرى في محاولة تكرار الحال وتعدادها في صدر النص، وطور بالإلحاح على المعنى الواحد بالألفاظ الكثيرة كما جاء في قوله:

"**وإن الأعمال التي يريدها هؤلاء من الجمعية ويصح إطلاق اسم الأعمال عليها في عرفهم مدارس عديدة تشاء، ودروس مختلفة تلقى، وأموال طائلة تجمع، ومرتبات ضخمة تفاض وبعثات علمية تنظم، ومشاريع علمية تؤسس ، وصحف متنوعة تنشر، ودراسات منظمة تذاع في الأمة، ومواقف خالصة تنجلي عن قوة القوي وضعف الضعيف**".[3]

---

[1] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 281 .

[2] المصدر السابق نفسه، ج1، ص 281 –282.

[3] المصدر السابق نفسه: ص 282.

فمعظم هذه الجمل متساوية في الألفاظ، متشابهة في الفواصل، واصطلاح الجمل القصار، والإلحاح على المعنى الواحد بألفاظ كثيرة.

كما يستخدم ألفاظ أنيقة غالبا ينتقي الألفاظ الفخمة للمعاني الضخمة ، ليضفي على خطبته هالة من الإجلال والإكبار حتى يقنع سامعيه ومتلقيه بجدية الموقف وعظمة الأمر، ويتضح ذلك في قوله: "**ويا الجاهلين، أيريدون من كلمة الإصلاح أن نقول للمسلم قل: لا إله إلا الله مذعنا طائعا وصل لربك أواها خاشعا وصم له مبتهلا ضارعا وحج بيت الله أوابا راجعا ثم كن أواها خاشعا وصم له مبتهلا ضارعا، وحج بيت الله أوابا راجعا، ثم كن ما شئت نهبه للناهب وغنيمة للغاصب، ومطية ذلولا للراكب، إن كان هذا ما يريدون فلا ولا قرة عين**".[1]

كذلك عبر عن التهويل والتنظيم والتفخيم والتقديس والتهييج، ما هو واضح وباد في قوله: "**وإن سيرة الواحد من هؤلاء لهي الإسلام كاملا مجسما، وإن أمثال هؤلاء الرجال هم الذين يجب علينا أن نجلو سيرهم على الناس ونتلو أخبارهم وتنقصاها ونحمل أنفسنا على الاقتداء بهم وتأثر خطاهم في كل شيء، والنفوس تؤخذ بالاحتذاء والمحاكاة أكثر مما تؤخذ بالجبلة والطبع، وإن أمثال هؤلاء هم عماد التاريخ الإسلامي، الذين تبذل الجمعية جهدا غير قليل في إحيائه بهذا الوطن**".[2]

ولو حاولنا أن نستنتج شيئا من هذه الخصائص الفنية العامة ونبحث عنها في خطبة البشير الإبراهيمي الإصلاح الديني إلا بالإصلاح الاجتماعي لما ألفيناها تند عن هذا أو تشذ، فاللغة أنيقة عالية، والأسلوب جميل صقيل، والمعاني فخمة ضخمة في الغالب، وكان الاقتباس من القرآن الكريم باد من خلال كلامه، وألفاظه كذلك كلمات من الأبيات الشعرية المشهورة في الأدب العربي، وهكذا لا حظنا بروز هذه الخاصية المتمثلة في التأنق في

[1] أحمد طالب الإبراهيمي: أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 283.

[2] المصدر السابق نفسه: ص 285.

الأسلوب من خلال هذه الخطبة فلعل فيما استشهدنا به ما يعطينا صورة صغيرة واضحة عن هذه الخاصية الفنية.

ثالثا: اللغة.

لغته خطابية، تكاد تكون ملازمة للبشير الإبراهيمي في كل نتاجه الأدبي، إذ تتحكم فيها مواقفه وآراءه وشخصيته، فهو رجل إصلاح، فالكاتب كي يستطيع إيصال أفكاره للجمهور لابد لمثل هذا اللون اللغوي، لذا تغلب كثيرا على أدبه، وقد اتصف به الأدب العربي الحديث في الجزائر من نزعة تعليمية واضحة، والتعليم أو النصح أو التربية أو التوجيه، وهي ألفاظ ذات معان متقاربة، أمور لا تتم بدون اصطناع لهجة خطابية معينة.

والحق أن الباحث لا يكاد يقرأ مقالة من مقالاته أو رسالة من رسائله، أو خطبة من خطبه، دون أن يعدم فيها هذه اللهجة الخطابية المتمثلة في روح الكلام أطوارا، وفي ألفاظه أطوارا أخرى.

ولنضرب لذلك أمثلة لتدعيم رأينا لما قال البشير الإبراهيمي في خطبته المدروسة:

"**أيها الإخوان: أما قد تجاوزت جمعيتكم خمس مراحل من وجهتها الموفقة**".[1]

"**إننا أيها الإخوان لا نزن الأعمال بما هي عليه في أنفسنا ضخامة وضؤولة، وإنما نزنها بآثارها المنبعثة منها المترتبة عليها**".[2]

وقال:" **إنني أيها الإخوان أحاول في موقفي هذا أن أقص عليكم طائفة من الآثار المشهودة والغايات المحمودة التي وصلت إليها جمعيتكم في بضع سنين**".[3]

وقال مرة أخرى: "**أيها الإخوان من الغلط أن يقال إن جمعية العلماء جمعية دينية يجب أن ينحصر عملها في الإصلاح الديني بمعناه الذي عرفه الناس**".[4]

---

[1] أحمد طلب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 282.

[2] المصدر السابق نفسه: ص ن.

[3] المصدر السابق نفسه، ص ن.

[4] المصدر السابق نفسه، ص ن.

وكان كذلك في قوله: "**ونجحت الجمعية أيها الإخوان في إلفات الأنظار إلى شيء لم يكن بيننا منسيا**".[1]

"**أيها الإخوان: إن جمعيتكم تفخر بأنها نجحت في جمع طوائف عظيمة من الأمة الجزائرية على الحق بعد أن كانت كلها متفرقة على الباطل**".[2]

"**أيها الإخوان: إن أغرب ما يؤثر عن جمعيتكم بل هو أول ما نجحت فيه...**"[3].

"**أيها الإخوان: هذه لمحات مقتضيه غير مرتبة ولا متناسقة من أثار جمعيتكم صغناها عليكم لا إدلالا بالعمل**".[4]

فهو من خلال كلامه كرر لفظه **أيّها** مرات عدة من أول خطبته إلى آخرها دلالة على النداء وهذا لتأكيد كلامه وإيضاحه وللإقناع والتأثير في المتلقي ولهذا اهتم بالتأنق في تأليف العبارة وتنسيقها والاهتمام بالألفاظ.

أحسن نموذج للكتابة التي تتجلى فيها اللهجة الخطابية، كأبرز وأقوى ما نرى في كلامه وهو يخاطب الحاضرين في قوله: "**تقف لا لنعد الأيام والشهور، ولكن لنعد الأعمال ونرن الأعمال بأثرها ونرى إلى أي حد من النجاح وصلنا وعلى أية درجة في الإصلاح حصلنا.**"

"**إننا أيها الإخوان – لا نرن الأعمال بما هي في أنفسنا ضخامة وضؤولة، وإنما نزنها بأثرها المنبعثة منها المترتبة عليها.**"[5]

وقوله مرة أخرى: **أيها الإخوان من الغلط أن يقال إن جمعية العلماء جمعية دينية تحب أن ينحصر عملها في الإصلاح الديني بمعناه الذي عرفه الناس**".[6]

---

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 285.

[2] المصدر السابق نفسه، ص 286.

[3] المصدر السابق نفسه، ص ن.

[4] المصدر السابق نفسه، ص 287.

[5] المصدر نفسه، ص 282.

[6] المصدر السابق نفسه، ص ن.

فهذا يثبت أن البشير الإبراهيمي كان يصطنع لهجة خطابية، ولكنها غير مملة ولا ثقيلة، لأن أسلوبه القوي المتحرك، المتلوّن من حال إلى حال من البيان، إلى حال أخرى، من فترة إلى أخرى أيضا، كل أولئك مثلت أمور جعلت هذا الأسلوب الذي يمثل مذهبا فنيا في الكتابة، حصانا من السماجة والرتابة، هذه اللهجة الخطابية التي كانت ملازمة له في أحوال كثيرة، ورغم ما فيه أحيانا من أسجاع وبديع. وإن خاصية الخطاب تبدوا بوضوح وقوة، إلا في كتابات البشير الإبراهيمي لأسباب أهمها:

– أن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي كان سيد كتاب العربية في الجزائر، لاسيما فيما بعد الحرب العالمية الثانية، حتى نهاية هذه الفترة.

– أنه كان خطيبا من الطراز الثاني.

– أنه كان يعتبر نفسه أبا للجميع، بحكم السن، والعلم، والسابقة في النضال الفكري، والأديب يخاطب أبناءه بلهجة المرشد المربي، والمعلّم الموجه، ومن كان كذلك لم يخل كلامه من صفات الخطابة، ولم تعدم كتاباته خاصية اللهجة الداعية، المتحمسة التي يصحبها النداء في كل العبارات التي تصلح للخطاب.

عمل البشير الإبراهيمي على سبك المعاني وإخراجها في لفظ جميل وأسلوب بليغ والتنويع في أساليب التماثل والسجع أضفى على الخطبة جوا موسيقيا جميلا متنوعة الإيقاع لا تحس معها بالملل فالهدف من الخطبة الدعوة إلى الوحدة العربية، بتحريرها من يدي الصهاينة المثالي لذا اتخذ من النزعة الخطابية لشحذ الهمم وإيقاظ الضمائر العربية لإصلاح الواقع، لأن الموقف يتطلب السرعة، اعتمد على الجمل القصيرة ذات المعاني الموجزة.

رابعا: التصوير.

التصوير ركن أساسي من أركان الأدب، وإجادته آية الشاعرية والإبداع، وإيما عمل أدبي يخلوا من هذا الجانب يفقد الكثير من الحيوية والجمال، ويغدو أقرب ما يكون إلى الكلام العادي. والتصوير ليس خاصية مقصورة على الشعر، إنه موجود في النثر كذلك بل يمكن القول إن بعض النثر يكون على مقدار من جمال التصوير وروعة الخيال وحيوية الإيحاء، يصير به أغنى وأجمل وأبلغ تأثيرا من كثير من النماذج الشعرية، والتصوير في

خطبته البشير الإبراهيمي خاصية بارزة، وقدرته عليه قدرة فائقة، تنبئ عن قوة مخيلته، وتحركها الذائب المبدع بين عناصر الوصف.[1]

ومن سمات هذا التصوير ما جاء في خطبته المدروسة في قوله: "**أيها الإخوان: أما وقد جاوزت جمعيتكم خمس مراحل من وجهتها الموفقة، وسلخت خمس سنوات من عمرها العامر بالصالحات**".[2]

فهي كناية عن نتاج الجمعية في وجهتها الموفقة في مدة خمس سنوات من تأسيسها، وشبه الجمعية بإنسان في قوله: "**وقطعت خمسة أشواط في مبدئها الذي عاهدت الله على أن تبلغ غايته أو تموت في الدفاع عنه والنضال من دونه، ولقيت من العوارض والعوائق ما ذللته العزائم ومهدته الهمم**"[3].

فهو في هذه الفقرة شبه الجمعية بإنسان عاهد الله أن يبلغ غايته أو يموت في الدفاع عن الوطن على سبيل الاستعارة المكنية فكانت مثالا عن التشخيص والتجسيد ليسهل على المتلقي استيعاب مبتغاه.

ومثلها في قوله: "**إلى أن كانت الحادثة الأخيرة التي ظن مدبروها أنها القاضية على الجمعية والخانقة لأنفاسها والفوضة لها من أساسها، فكانت عليها كنار الخليل بردا وسلاما**".[4]

حيث شبه الحادثة الأخيرة والجمعية بشخصين يقتل أولهما الثاني فاعتبروها القاضية على الجمعية والخانقة لأنفاسها.

من خلال هذا نرى أن التشبيه أدى دورا كبيرا في خطبته البشير الإبراهيمي، إذ يأخذ حيزا كبيرا في تحميل وتوشيح نتاجه، فهو يعد بحق: "أديبا مهتاج العلم فنانا ويبدع في تركيب البيان العربي في أسمى صوره".[5]

---

[1] شكري فيصل: قضايا الفكر في أثار الإبراهيمي، مجلة الثقافة، ع ،87، 1985م، ص 281.

[2] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 281.

[3] المصدر السابق نفسه: ص ن.

[4] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 282.

[5] عبد الملك مرتاض، الموسوعة التاريخية للشيخ محمد البشير الإبراهيمي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، سنة سنة 1984 م، ص83.

وهو عندما يريد تصوير رأي الناس في أعمال الجمعية فيبالغ في التشبيه بين صورة واقعية هي صورة أعمال الجمعية وصورة متخيلة هي صورة عود الكبريت أو خيط الكهرباء فيقول: "**وما أوتوا – عافاهم الله – إلا من غفلتهم من أثار الأعمال ونسيانهم أن من الأعمال ما هو كعود الكبريت جسمه ضئيل وأثره جليل أو كخيط الكهرباء جوهرة دقيق وعملة عظيم**".[1]

فهو هنا شبه أعمال الجمعية وآثارها بعود الكبريت الذي هو صغير لكن إذا ما اشتغل فهو يفعل العجائب إذا آثارها جليلة وكبيرة، أو كخيط الكهرباء فهو دقيق لكنه يفعل أشياء عظيمة فالجمعية عظيمة رغم عدم بيانها من قبل الناس.

وأحيانا يرتقي التصوير سلّم المبالغة، فيأتي غاية في الجمال فهو مثلا يمثل الظروف السياسية التي تكونت فيها الجمعية فيأتي بصورة لا يمكن أن تتحقق في عالم الواقع، ولكنها تمثل أدق تصوير للفكرة وأبلغ تعبير عن الغرض فيقول: "**ولو ذكر هؤلاء الأمة الجزائرية في طورها الحاضر ووضعها الحاضر، وذكروا كيف تساس القوانين التي بها تساس، وذكروا الجمعية وأنها تكونت في ليل من السياسة غاسق وجو من مكائدها قاتم**".[2]

فهو يصور قساوة الوضعية السياسية في ذلك الوقت الذي تكونت فيه الجمعية بليل غاسق ومكائدها بجو قاتم.

إننا نرى في هذه القطعة زيادة على إيقاعها الرائع وما فيها من المقابلات الجميلة، كثافة في الصور ودقة في التصوير، فكل ما يشغل البشير الإبراهيمي فردا وأمة عبر عنه وصوره من خلال قوله:... "**ليبنوا حاضرهم الخرب على ماضيهم العامر**".[3]

ويتخذها كأداة لصب جامة غضبه ونقده والهجوم على الخصم بإبراز حقيقته بأسلوب لاذع وهذا من أجل الإسلام لإحيائه في هذا الوطن.

---

[1] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 282.

[2] المصدر السابق نفسه، ص ن.

[3] المصدر السابق نفسه، ص285.

ننتقل إلى نموذج آخر وأخير، لنكشف أسلوبا آخر من أساليب التصوير المركب، وفيه تلمح الصورة وهي تنموا مرحليا فكأن كل عنصر لبنة تتضاف إلى البناء، حينما تقرأ مفرداته بتمعن (و) كل عنصر يشير إلى نواحي الصورة.[1]

يصوّرها البشير الإبراهيمي مصوّرا الجمعية في نجاحها فيقول: "**أيها الإخوان: إن أغرب ما يؤثر عن جمعيتكم بل هو أول ما نجحت فيه هو إثبات المشاريع كأوراق الخريف، والاحتفاظ بتوازنها عن طريق غاص بالعواثير، وتسيرها لسفينة الحق في بحر مضطرب الأمواج، وثباتها في وجه الباطل في وقت تكالب فيه الأعداء وتخاذل الأولياء، فهنا العبرة البالغة للمعتبرين، وهنا الموضوع الخصيب للباحثين المستنتجين**".[2]

فهو هنا صور مدى نجاح الجمعية رغم المضايقات الشديدة، قصورها بحب الحصيد عندما يتناثر وأوراق الخريف عندما تتهاوي وصوّر الجمعية بسفينة الحق والمستدمر بالبحر المضطرب الأمواج.

[1] بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي ص ،131 نقلا عن عبد الملك بومنجل: النثر الفني عبد الإبراهيمي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، جوان 2009م، ص 106.

[2] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 286.

خاتمة

خاتمة:

بعد دراسة أدب الإبراهيمي وإصلاحاته توصلنا إلى جملة النتائج:

1- أن الإبراهيمي رجل إصلاح وأديب فذ، سخّر أدبه و فكره في سبيل مواجهة الاحتلال وتحرير عقول الناس لهذا تبنى الفكر الإصلاحي للمجتمع هادفا من ورائه تشكيل مجتمع جديد فعالج مختلف القضايا بفكره وقلمه، فكان النزوع الإصلاحي طاغيا فاتخذ البعد الاجتماعي ثورة على الأوضاع الاجتماعية للأمة حيث عالج قضية الزواج"، أما البعد السياسي فغايته تصوير الحياة الثائرة في الجزائر واتخذه لمبارزة الخصم، وإذا رجعنا إلى البعد الفكري فمن ورائه عالج المسائل المتعلقة بالشخصية الجزائرية وتثبيت أصالتها وتحديد مقوماتها وكانت اللغة العربية أهم قضاياه التي شغلت فكره، أما البعد الديني فتجلى في الإصلاح الديني لتحرير العقول من الأوهام والضلالات والخرافات.

2- اتخاد الخطابة وسيلة للاتصال بالشعب لنشر الوعي، أخدت الخطابة الدينية الحظ الأوفر نظرا لتردي الوضع الديني في الجزائر وكانت السلاح الوهاج لتصحيح العقيدة، أما الخطابة الأدبية فتعالج قضايا الفكر والثقافة والأدب معا، وإذا جئنا إلى الخطابة السياسية فهي قليلة جدا فكان يفضح سياسة الاستعمار في هضم حقوق الشعب.

3- كما أخذت المقالة حصة الأسد في أدبه، فتنقسم إلى سياسية، اجتماعية، أدبيه، دينية، ففي السياسة اهتم بقضايا الشعب الجزائري وما عاناه من جسامة عذاب الاحتلال، أما المقال الاجتماعي عالج فيه قضايا ومشكلات المجتمع المستمدة من روح الواقع ومحاربة الانحلال الخلقي والمقالة الأدبية اهتم فيها بالفكرة، واعتنى بالصياغة والتعبير عن العاطفة مثل: تحية غائب "كالآيب" و "مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة بأسلوب علمي متسلسل الأفكار كما تمتاز المقالة الدينية بأسلوب خطابي ترهيبي ثائرا على الطرفين، ارتبطت بقضية الدين وبمسألة النهوض بالوطن و توعية الضمير والعقل.

4- جماليات الخطبة والنبرة الخطابية التي دفعتنا إلى التخيل أننا أمام حكيم من الحكماء أو خطيب من خطباء العرب الكبار، وهذا لتميز أسلوبه بالطابع الإسلامي الخالص وعصرنته للمضامين من قلب المجتمع الجزائري، أسلوبه كأنه أسلوب فحول البيان العربي في أزهى

عصوره، أما اللغة لغة خطابية من لفظ جميل وأسلوب بليغ و تنويع أغنى في أساليب التماثل والسجع، أما التصوير ركن أساسي من أركان أدبه فيه يصير وأجمل و أبلغ تأثيرا.

قائمة المصادر والمراجع

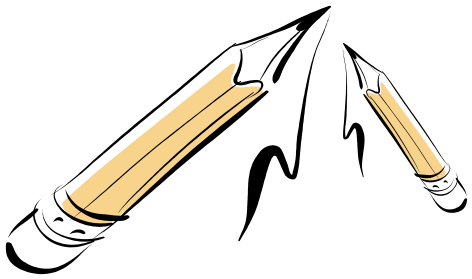

- **القرآن الكريم.**

- **المصادر:**

1. أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1(1997م) ج1.

2. محمد البشير الإبراهيمي عيون البصائر 02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.

- **المراجع:**

1. أبو القاسم سعد الله: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في قلب المعركة (1954-1964) شركة الأئمة للطباعة والترجمة والنشر الجزائر (د. ط)1994م.

2. أبو القائم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط4، بيروت، لبنان، 1992م.

3. آثار الإمام ابن باديس، ج3، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ط1، 1991م.

4. أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإسلامي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.

5. أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

6. أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات)، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، 2009م.

7. أحمد مريوش، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج1، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2013م.

8. أحمد مريوش، محاضرات في تاريخ الجزائر 1900-1954م، ج2، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2013م.

9. عبد الملك بومنجل: النثر الفني عند الإبراهيمي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، جوان 2009م.

10. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين المنعقد بمركزها العام "نادي الترقي بالجزائر"، دار الكتاب، الجزائر.

11. الجيلالي صاري ومحفوظ قداش، الجزائر في التاريخ المقاومة السياسية 1900-1954، الطريق الإصلاحي والثورة، ترجمة عبد القادر بن حراثة المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م.

12. رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية بين 1931-1956 العليمة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، لجزائر 1901.

13. رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار، 2001م.

14. زبير بن رحال، عبد الحميد بن باديس، رائد النهضة العلمية والفكرية (1889-1940)، دار الهدى، الجزائر، 1997م.

15. زهور ونيسي: بعض من رؤية الإبراهيمي في الإصلاح الاجتماعي، مجلة الثقافة، ج15، ص87(1985).

16. صالح خرفي: محمد العيد آل خليفة، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ورشة أحمد زبانة الجزائر (د. ط)1986م.

17. عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ط1، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، 1983م.

18. عبد الرحمان بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

19. عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر، (1913-1940)، دار الشهاب، بيروت، 1999م.

20. عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931م 1954م) جامعة وهران – ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (يناير 1994م).

21. عبد الملك مرتاض، الموسوعة التاريخية للشيخ محمد البشير الإبراهيمي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، سنة 1984 م.

22. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، ط2، 2005.

23. عمار طالبي، ابن باديس، حياته وآثاره، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1983م.

24. عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (د ط)،(1993م).

25. مالك ابن نبي، وجهة العالم الاسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، بإشراف ندوة بن نبي، دار الفكر، الجزائر، دمشق، ط5، 1986م.

26. مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، العادة الرابعة، ط2، 1427هـ-2004م.

27. مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، دار الغرب الإسلامي، ط5، 2000م.

28. محمد الطاهر فضلاء: أعلام الجزائر، الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه الأول، مكتبة ومطبعة البعث، قسنطينة الجزائر (د. ط) (1967).

- الرسائل الجامعية:

1. محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب قسم اللغة العربية – جامعة بغداد العراق (1404-1983م).

- الجرائد والمجلات:

1. مجلة الأصالة ،الجزائر، 13، س 3/1391هـ-1937م.

2. مجلة الثقافة الجزائر، 21 س 4، 1394ء 1974م.

3. محمد البشير الإبراهيمي: مجلة الحج والعمرة ع6، ص 142459 2004م.

4. محمد ناصر بوحجام، من مجلة الموافقات.

5. محمد مصايف : (أدباءنا والمسيرة الثورية) مجلة البصائر، الجزائر، ع13 من 3 – 1393-1973م.

6. نصر الجويلي، جمعية العلماء المسلمين بين الدين والسياسة، المجلة التاريخية المغربية، السنة الخامسة عشر، العدد 50/49 جوان 1988م، تونس.

7. محمد الصالح رمضان، جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثقافي، مجلة الثقافة، عدد 83، السنة الرابعة عشر، سبتمبر/ أكتوبر 1984م.

8. محمد البشير الإبراهيمي، فلسطين، جريدة البصائر، دار الغرب الاسلامي، الجزائر، عدد5، س1 (5 سبتمبر 1947).

9. محمد البشير الإبراهيمي: (أنا) مجلة مجمع اللغة العربية الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ج21، (1386-1966) 24.

10. شكري فيصل: مجلة الثقافة المؤسسة الوطنية للفنون وحدة الطبع المتعددة، ورشة أحمد زبانة، الجزائر، ع87(1985م).

11. عمر بن قينه: (البشير الإبراهيمي مصلحا وثائرا) مجلة العربي الكويت، ع 1399260هـ_1979م.

- المراجع الأجنبية:

.1 Claud callot ،Jean Robert Henry ،le mouvement national algérien ،textes 1912-1954 ،2ème édition ،Alger ،o .p .u et l'harmattan ،Paris ،1981.

مادحة

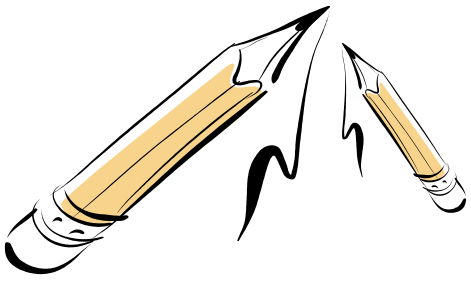

ملاحق:

الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي (خطبة الأستاذ الإبراهيمي التي ألقاها صبيحة اليوم الأول من أيام الاجتماع"[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوان: أما وقد جاوزت جمعيتكم خمس مراحل من وجهتها الموفقة، وسلخت خمس سنوات من عمرها العامر بالصالحات، وقطعت خمسة أشواط في مبدئها الذي عاهدت الله على أن تبلغ غايته أو تموت في الدفاع عنه والنضال من دونه، ولقيت من العوارض والعوائق ما ذللته العزائم ومهدته الهمم. وكانت نتائج ذلك كله عكس ما ظله المتشائمون، ورأت من عجائب صنع الله لها وبره بها وخيريه لها ما لم تكن تحلم به، إلى أن كانت الحادثة الأخيرة التي ظنّ مديروها أنها القاضية على الجمعية والخانقة لأنفاسها والمقوضة لها من أساسها، فكانت عليها كنار الخليل بردا وسلاما، وانها لأول حادثة في تاريخ الجمعية جمعت بين الضدين: سوء الوقع وحسن الأثر، فقد امتحن فيها إحساس الجمعية ومش فيها مكمن الغيرة من الأمة الإسلامية، ولو هفت منا الحلوم أو خفيت على الأمة موارد الحادثة ومصادرها لرأيتم معني عاليا من معاني الحفاظ الكمينة في هذه الأمة الفقيرة إلا من الشرف والعزلاء إلا من العزائم، ولقرأتم صفحة من صفحات البطولة ظنّ الناس أن مكانها من تاريخ الجزائر الحديث خال، ولأرينا العابثين بمقدرات الأمم كيف تكون عواقب العبث ولكن الله سلّم وألهم الرشد فأريناهم كيف يكون الصبر في الشدائد وكيف يكون التنبه للمكائد وأذقناهم مرارة الخيبة وغصص اليأس وكنا نحن الفائزين أما وقد تم كل ذلك، فقد وجب أن نقف على رأس هذه الأعوام الخمسة ونستعرض الأعمال التي تمت فيها على يد الجمعية استعراض المعتبر بماضيه وحاله، الموازن بين أعماله وآماله المستبصر في مبادله ومصائره المغتبط بما قدم من صالح، وإن قل، المستشرف للعظائم وإن هالت وجلت.

[1] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 281-287.

نقف لا لنعد الأيام والشهور، ولكن لنعد الأعمال ونزن الأعمال بآثارها ونرى إلى أي حد في النجاح وصلنا، وعلى أية درجة في الإصلاح حصلنا .

إننا – أيها الإخوان – لا تزن الأعمال بما هي عليه في أنفسها ضخامة وضؤولة، وإنما تزنها بآثارها المنبعثة منها المترتبة عليها.

وإن كثيرا من الناس حتى من أنصار الجمعية ليستقلون هذه الأعمال في أنفسها ويحتقرونها في حد ذاتها فيغمطون الجمعية حقها ويقولون انها لم تعمل شيئا له خطر. وما أوتوا – عافاهم الله– إلا من غفلتهم عن آثار الأعمال ونسيانهم ان من الأعمال ما . الكبريت جسمه ضئيل وأثره جليل، أو كخيط الكهرباء جوهره دقيق وعمله عظيم، وان الأعمال التي يريدها هؤلاء من الجمعية ويصح إطلاق اسم الأعمال عليها في عرفهم، مدارس عديدة تشاد ودروس مختلفة تلقى، وأموال طائلة تجمع، ومرتبات ضخمة تفاض وبعثات علمية تنظم، ومشاريع عملية تؤسس، وصحف منوعة تنشر، ودراسات منظمة تذاع في الأمة، ومواقف فاصلة تنجلي عن قوة القوي وضعف الضعيف.

إن هذا الذي يريدونه لعظيم، وان النفوس المتعلقة به لكبيرة وانه لمن آمال جمعية العلماء، يشغل تفكيرها وتجمع له أسبابه وترصد لبلوغه كل شارقة، فاما أن تطالب به وهي لم تستكمل وسائله فلا ... وأما أن تقاس أعمالها بهذا المقياس فلا....

إن أقصر الناس نظرًا من يسقط في حكمه على الأشياء اعتبار الزمان والمكان والفاعل والقابل والأوضاع الخصوصية ولو ذكر هؤلاء الأمة الجزائرية في طورها الحاضر ووضعها الحاضر، وذكروا كيف تساس والقوانين التي بها تُساس، وذكروا الجمعية وأنها تكونت في ليل من السياسة غامق وجو من مكائدها قائم وقاسوا يومهم بأمسهم، ونظروا من الأعمال إلى آثارها ومن الآثار إلى اتساعها ومن الاتساع إلى الحدود والآفاق، لكانوا في حكمهم أقرب إلى النصفة والمعدلة.

إنني – أيها الإخوان – أحاول في موقفي هذا أن أقص عليكم طائفة . من الآثار المشهودة والغايات المحمودة التي وصلت إليها جمعيتكم في بضع سنين، وأحاول أن أشرح لكم النواحي التي لقيت فيها النجاح والميادين التي صادفت فيها الفوز.

أيها الإخوان من الغلط أن يقال إن جمعية العلماء جمعية دينية يجب أن ينحصر عملها في الإصلاح الديني بمعناه الذي عرفه الناس، ومن فروع هذا الغلط ما رماها به بعض مرضى العقول وصرعى الجهل من أنها خرجت عن مدارها حين زجت نفسها في بعض شؤون الحياة غير الدين.

والحقيقة أن هذه الجمعية تعمل من أول يوم من تكوينها للإصلاح الديني وللإصلاح الاجتماعي، وكل ذلك يسع الإسلام وكل ذلك يسعه مدلولها وموضوعها وقانونها. فالإسلام دين واجتماع. وإذا كانت دائرة الأول محدودة فإن دائرة الثاني واسعة الأطراف، وان الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي، ولهذا الارتباط بين القسمين، فإن جمعية العلماء – وهي الجمعية الرشيدة العالمة بحقائق الإسلام – عملت منذ تكوينها في الإصلاحين المتلازمين وهي تعلم أن المسلم لا يكون مسلما حقيقيا مستقيما في دينه على الطريقة حتى تستقيم اجتماعيته فيحسن إدراكه للأشياء وفهمه لمعنى الحياة وتقديره لوظيفته فيها وعلمه بحظه منها وينضج عقله وتفكيره ويلم بزمانه وأهل زمانه ويتقاضى من أفراد المجموعة البشرية ما يتقاضونه منه من حقوق وواجبات، ويرى لنفسه من العزة والقوة ما يرونه لأنفسهم وتربط بينه وبينهم رابطة الأخوة والمساواة والمصلحة لا رابطة السيادة عليه والاستئثار دونه .

وقد نجحت الجمعية إلى حد بعيد في إفهام الأمة هذه المعاني الاجتماعية وتوجيهها إلى مجاراة السابقين وتهيئتها لأن تكون أمة عزيزة الجناب مرعية الحقوق ثابتة الكيان محفوظة الكرامة صالحة للحياة مساوية للأحياء وفي اعلامها أن بغي القوي على الضعيف قد طمس معالم الحق بينهما وردهما إلى نوع من الحيوانية كالذي بين الذئب والخروف، حتى أصبحت الاستطالة في الأقوياء طبيعة والاستكانة في الضعفاء طبيعة، وان طبيعة الأولين لا تتبدل إلا بعد تبدل طبيعة الآخرين وان الحقوق التي أخذت اغتصابا لا تسترجع إلا غلابا.

ويا ويح الجاهلين، أيريدون من كلمة الإصلاح أن نقول للمسلم قل: لا إله إلا الله مذعنا طائعا وصل لربك أواها خاشعا ، اله مبتهلا ضارعًا، وحج بيت الله أوابا راجعا ، ثم كن ما شئت نهبة للناهب، وغنيمة للغاصب، ومطية ذلولا للراكب، ان كان هذا ما يريدون فلا ولا قرة عين، وإنما نقول للمسلم إذا فصلنا: كن رجلا عزيزا قويا عالما هاديًا محسناً كسوبًا معطيا من نفسك آخذا لها عارفا بالحياة سباقاً في ميادينها، صادقًا صابرا هينا إذا أريد منك الخير، صليا إذا أردت على الشر.

ونقول له إذا أجملنا كن مسلما كما يريد منك القرآن وكفى...

ونجحت الجمعية – كذلك – نجاحًا جليا مشهودًا ظهرت آثاره للعيان ولمسه الموافق والمخالف والمعتدل والمتجانف، في تصحيح عقائد الأمة الجزائرية وتطهيرها من شوائب الشرك القولي والعملي التي شابتها، فصحت العقائد وصحت لصحتها الإرادات والعزائم وسنرى من نتائج ذلك صحة الأعمال التي تصدر عن تلك الإرادات وتلك العقائد، وسنرى آثار طهارة النفوس قوة في الأخلاق وسموا في التفكير، ونزوعًا إلى الفضائل لأن هذه الأشياء متلازمة لا تنفك بحال.

أصبح المنتسبون إلى الإصلاح ولو من العامة يخلصون الله في عباداتهم وإيمانهم ونذورهم وأدعيتهم، ونبذوا كل ما كانوا عليه من عقد فاسد أو قول مقترى أو عمل مبتدع في هذه الأبواب كلها، وأصبحوا يفرقون بين السنة والبدعة والمشروع وغير المشروع ويعتقدون أن الإنسان مجزي بعمله رهين ،بكسبه وليست هذه النتيجة بالأمر اليسير وما كنا – لولا عون الله – لتبلغ هذا الحد من النجاح فيها، ولكن ماذا أنفقنا من الأعمال في هذا السبيل؟ وماذا زرعنا حتى جنينا كل هذا الربع الزاكي؟ الحق ان هذه الآثار الجليلة كلها راجعة إلى المقالات التي نشرتها صحف الإصلاح والدروس والمحاضرات التي ما زال يلقيها دعاة الإصلاح المنتشرون في القطر. ولما كان الحق بينا في نفسه سهل على الداعين إليه بيانه والاستدلال عليه ونقض الشبهات القائمة حوله وإن اختلفت مراتب المدعوين في سرعة التلقي بالقبول.

وقد اتضحت الفكرة الإصلاحية في هذا الباب وحفظت مسائلها وعلمت دلائلها حتى أصبح في مقدور كل إنسان بيانها والدعوة إليها وإقامة الحجة عليها، وهذا شأن الحق في كل زمان.

نجحت الجمعية أيضًا في الفات الأمة إلى القرآن وفي جمعها عليه وحملها على التدبر في معانيه، لتأخذ منه كل نفس على قدر استعدادها وتستنير من عبره وزواجره ما يسوقها إلى الخير ويزعها عن الشر حتى يكون المؤمن مسوقا بالقرآن مديرًا به وسنرى من تأثير القرآن في النفوس ما يحقق الأمنية التي تاق إليها حكماء الأمم وأعياهم الوصول إليها، الروحي من طريق سمو الأخلاق وهي الغاية التي وصل إليها سلفنا وما وصلوا إليها إلا بالقرآن.

وقد كانت هذه الأمة معرضة عن القرآن مشغولة عنه بما لا يفيد، معتقدة فيه العقائد السخيفة مستغنية عن فهمه بحفظه تقصيرها في أداء لفظه، مستعيضة عن تلاوته بتلاوة مع الأوراد والأذكار، وعن دراسته بدراسة كتب جافة من وضع المخلوق لا تبعث في النفس نشاطا ولا تنشر في القلوب حياة ولا تغرس في الأفئدة فضيلة، ولا تقتلع منها رذيلة، ولا تشرف على القلوب المظلمة بنور، ولكنها بدأت اليوم ترجع إلى القرآن وتستجلي أنوار الهداية وأسرار الكائنات من آياته وتأخذ الحياة قوية من تعاليمه، وكأنها برجوعها إلى القرآن تجدد نفسها وتستأنف في الحياة تاريخها، وعسى أن تنتهي من هذه الوجهة الجديدة إلى غايتها، فتنتهي إلى السعادة والخير.

وأفلحت الجمعية في تبيين السنة النبوية المحمدية معنى ومفهوما، وحمل الأمة على الرجوع إليها علما وعملا، والتمسك بالصحيح الثابت منها فعلا وتركا، والاهتداء بهدي السلف الذين هم نقلتها وتراجمتها والمؤتمنون على فهمها، والعاملون والواقفون عند حدودها، والناشرون لدقائقها والناصرون لحقائقها والمبلغوها سهلة سمحة إلى الأمم على أنها بيان لكتاب الله توالفه ولا تخالفه وشرح عملي لدين الله يؤيده ولا يعانده، وطريق إلى سعادة الدارين

لا يضل مالكه ولا يفلح تاركه وسلم موصل إلى الحياة العزيزة الكاملة المبنية على العمل المغذي للهمم والإقدام المغذي للعزائم والقوة التي هي الحياة.

نجحت الجمعية كذلك في نشر سير عظماء الإسلام الحقيقيين الذين قاموا بحمله، والذين قاموا بنشره والذين قاموا بتمثيل هديه وتطبيق قواعده وأصوله في النفوس بالتركية والتهذيب، وفي العقول بالتنوير والتأديب، وفي الأمم بالتعليم والرفق والتسوية، وفي الأرض بالتعمير والأمان، وفي الحكم بالعدل والإحسان وفي الملك بالعزة والقوة.

وإن سيرة الواحد من هؤلاء لهي الإسلام كاملا مجسما، وان مثال هؤلاء الرجال هم الذين يجب علينا أن نجلو سيرهم على الناس ونتلو أخبارهم ونتقصاها ونحمل أنفسنا على الاقتداء بهم وتأثر خطاهم في كل شيء، والنفوس تؤخذ بالاحتذاء والمحاكاة أكثر مما تؤخذ بالجبلة والطبع، وإن أمثال هؤلاء هم عماد التاريخ الإسلامي الذين تبذل الجمعية جهدا غير قليل في احيائه بهذا الوطن وفي تحبيبه للمسلمين ليبنوا حاضرهم الخرب على ماضيهم العامر وليعلموا أنهم ليسوا عالة على التاريخ، ولا متطفلين على الزمن ولا واغلين على مائدة الحياة، وإن مكانهم من التاريخ – لو عرفوا – هو الصدر، وإن حظهم من الحياة غير منزور، لو أحسنوا كيف يحيون.

ومن العجيب أن الأمم الإسلامية – وهي أغنى الأمم في باب الأسماء العظيمة – كانت وما تزال الكثرة منها تحتفي بأسماء نالت – في جنون من الدهر وعربدة من التاريخ واضطراب في العقل – حظا من الشهرة بما لا يشرف قدرًا ولا يعلي منزلة ولا يثير ذكرى حية، وأفاضوا على هذه الأسماء صبغة من التقديس وجعلوها معاقد لأيمانهم واعلاما لولدانهم، وإننا لتجد في الأسماء الرائجة بيننا ترديدا فاحشا لهذه الأسماء المنومة، وقل أن نجد بيننا اسما الأسماء من التي تعد تواريخ مستقلة وبدءا في الخلق وتجديدا في الحياة، والتي تثير عند سماعها معاني العزة وذكريات الشرف والرفعة .

ونجحت الجمعية أيها الإخوان في إلفات الأنظار إلى شيء لم يكن بيننا منسيا، وإن كان مجفوا وهو هذا اللسان العربي الشريف الذي هو قطعة من كياننا التاريخي وشرط

أساسي لوجودنا القومي وشهادة قاطعة بصحة نسبنا الديني ونسبنا الجنسي، وإن من العار الفاضح أن يفخر الواحد منا بانتسابه إلى العرب وهو لا يعرف شيئًا عن لغة العرب ولا شيئًا من تاريخ العرب، وقد أشرفت هذه اللغة الشريفة على الاضمحلال بهذه الديار لولا أن تداركتها جمعية العلماء وأخذت بيدها وانتشلتها من الحضيض الذي وصلت إليه، فاستعادت على يدها شبابها ووصلت بسبب الدين الحنيف أسبابها، وأصبحت الجزائر في مدة قليلة تفاخر أمصار العربية الكبرى ومنابتها الأصلية بأدبائها وكتابها وشعرائها وخطبائها.

أيها الإخوان: إن جمعيتكم تفخر بأنها نجحت في جمع طوائف عظيمة من الجزائرية على الحق بعد أن كانت كلها متفرقة على الباطل، واستطاعت أن تعلمهم معنى الاجتماع على الحق والخير وكيفية الاجتماع على الحق والخير، وتحبب إلى نفوسهم " كلمة الاجتماع وحضور المجتمعات بعد أن كانت لا تجتمع إلا على شر أو مأثم.

وبأنها نجحت في دعايتها إلى العلم النافع الصحيح وفي دعايتها إلى الأخوة الإسلامية الحقيقية – وبأنها انتصرت في حملتها على الخرافات والأوهام والدجل وانتصرت أو كادت في حربها للجمود والعوائد الضارة والتقاليد السخيفة – وبأنها أفلحت في تربية الأمة على عدم الخوف إلا من الله والرهبة إلا منه وأن تواصل فيه وتقاطع فيه وأن تبني حياتها على الأعمال والأسباب، وفي تربيتها على تقدير الكفايات وتقديم الاكفاء لشؤونها العامة، وفي إرشادها إلى وجوه البذل المشروعة المعقولة بعد أن كانت تبذر أموالها فيما يضر ولا ينفع، وفي تحبيب الدين وشعائر الدين إلى طوائف من الشباب المهمل وإشرابهم معنى العزة الإسلامية وكرامة النفس.

وإذا رجعنا إلى الأخلاق، أيها الإخوان، وجدنا نجاح الجمعية ظاهرا في جمهرة من الأخلاق الفاضلة غرستها في نفوس الأمة الجزائرية، فجمعية العلماء علمت الأمة التي هي خلق التضحية في الصالح العام، وخلق الصبر عليه ومطاولته وخلق القصد في الاعتقاد والتفكير وخلق الاعتماد على النفس، وخلق الصراحة في القول والجرأة في الرأي والكلام إلى ما يتصل بهذه الأخلاق من فروع ولوازم.

أيها الإخوان: إن أغرب ما يؤثر عن جمعيتكم بل هو أول ما نجحت فيه، هو إثبات وجودها في وقت كانت تتناثر فيه الجمعيات كحب الحصيد، وتتهاوى المشاريع كأوراق الخريف، والاحتفاظ بتوازنها في طريق غاص بالعواثير، وتسييرها لسفينة الحق في بحر مضطرب الأمواج، وثباتها في وجه الباطل في وقت تكالب فيه الأعداء وتخاذل الأولياء، فهنا العبرة البالغة للمعتبرين، وهنا الموضوع الخصيب للباحثين المستنتجين.

أيها الإخوان: هذه لمحات مقتضبة غير مرتبة ولا متناسقة من آثار جمعيتكم قصصناها عليكم لا إدلالًا بالعمل، فهو في ذاته قليل، ولا افتخارا بالنتائج فوراءها ما هو أكمل منها وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرًا، ولكن تسلية على ما لم تصل إليه اليد من الكمال الذي ننشده وينشده أنصار الجمعية وهي بعد سائرة في طريقها، مشكلة على الله معتمدة على ولائكم لها و اخلاصكم في خدمتها. وإن التفافكم حولها هو ذخرها الثمين الذي تعده لبلوغ الكمال والإقدام على عظائم الأعمال، ودرعها الحصين الذي به ترد عدوان العادين وكيد الكائدين.

وقد فزعت بالأمس فهيبتم هبة رجل واحد كلكم يذود وكلكم يحمي، وإن لهبتكم تلك لمعنى عرفه أعداء الجمعية فأطرقوا ثم الجلت الغمة فهيثم هبة أخرى كانت أروع وأوقع، فهل أنبئكم أن تلك الهبات هي الامداد التي تمد الجمعية بالحياة والبقاء والبركة والنماء.

فهرس المحتويات

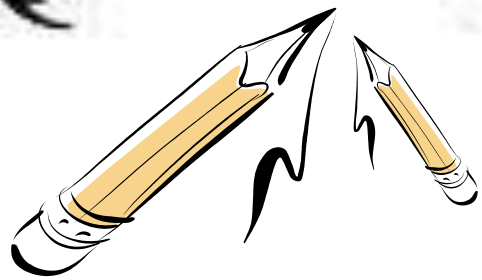

فهرس الموضوعات	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	أ
المدخل	04
الفصل الأول: البشير الإبراهيمي وفكره الإصلاحي	
أولا: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	16
ثانيا: أهداف الجمعية ومبادئها	17
ثالثا: مجالات عمل الجمعية	19
رابعا: الفكر الإصلاحي لمحمد البشير الإبراهيمي	29
الفصل الثاني: أهم القضايا الإصلاحية للبشير الإبراهيمي	
أولا: الدراسة الفنية	46
ثانيا: الأسلوب	55
ثالثا: اللغة	58
رابعا: التصوير	60
خاتمة	65
قائمة المصادر والمراجع	68
ملحق	
ملخص	

ملخص:

من هذا البحث المعنون بـ: "**النزعة الإصلاحية في أدب محمد البشير الإبراهيم، الجزء الأول نموذجا**" نحاول من خلاله الوقوف عند أهم القضايا الاصلاحية عند محمد البشير الإبراهيمي، وقد اعتمدنا على المنهج التاريخي لدراسة هذا البحث.

قسمنا بحثنا إلى مدخل وفصلين، مسبوقين بمقدمة.

تناولنا في **الفصل الأول** تأسيس جمعية العلماء المسلمين، ومجالاتها، وتناولنا كذلك النزوع الاصلاحي لمحمد البشير الإبراهيمي في نثره فحصرنا اهتمامنا على فني الخطابة والمقالة.

بينما خصصنا **الفصل الثاني** أهم القضايا الإصلاحية في خطبة الاصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي، وقمنا بدراستها وتحليلها ومناقشتها و قد اعتمدنا في دراستنا التطبيقية على دراسة الخطبة دراسة فنية ثم تحدثنا عن أسلوبه في الخطبة واللغة والتصوير.

وأنهينا بحثنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها بعد دراسة أدب الإبراهيمي.

الكلمات المفتاحية: النزعة، الإصلاح، جمعية العلماء المسلمين، محمد البشير الإبراهيمي.

Abstract:

From this research entitled: "The Reformism in the Literature of Muhammad Al-Bashir Al-Ibrahim, Part One as a Model" through which we try to stand at the most important reform issues of Muhammad Al-Bashir Al-Ibrahim, and we have relied on the historical approach to study this research.

We divided our research into an introduction and two chapters, preceded by an introduction. In the first chapter, we dealt with the establishment of the Association of Muslim Scholars, and its fields, and we also dealt with the reformist tendency of Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi in his prose, so we limited our attention to the art of rhetoric and essay.

While we devoted the second chapter to the most important reform issues in the sermon, religious reform cannot be achieved without social reform, and we studied, analyzed and discussed it.

In our applied study, we relied on studying the sermon as an artistic study, then we talked about his style in the sermon, language and photography.

We ended our research with a conclusion that included the most important findings after studying the Ibrahimi literature.

Keywords: tendency, reform, Association of Muslim Scholars, Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi.